مجالات الدعوة إلى الله وكيفية الدعوة إليها

(العقيدة، العبادات، الأخلاق، المعاملات)

إعداد

أ.د. حامد بن معاوض الحجيلي

الأستاذ بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية
في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

مكتبة خزانة العلوم

سطور البحث العلمي

المقدمة



إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾[آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾[النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب: ٧٠-٧١].

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار. أما بعد.(١).

الدعوة إلى الله تعالى من أعظم الصالحات، وأجل الطاعات، وأشرف القربات، قال الله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾[فصلت: ٣٣].

---

(١) هذه الخطبة معروفة بخطبة الحاجة، وقد كان النبي ﷺ يفتتح بها خطبته، أخرجها أبو داود، برقم (٢١١٨). والترمذي، برقم (١١٠٥). وصحّحها الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود، برقم (٢١١٨). وفي صحيح سنن الترمذي، برقم (١١٠٥). وله فيها جزء مفرد سمّاه: (خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلّمها أصحابه).

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وهذه الدعوة العظيمة تقوم على أركان أربعة، كما هو مقرر (الداعي، والمدعو، ووسيلة الدعوة، ومجال الدعوة أو موضوعها).

وبفضل من الله عَزَّوَجَلَّ وتوفيقه فقد سبق أن تمت طباعة كتبي:

(الموجز في الدعوة إلى الله، وفق الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة) وهو شامل للأركان الأربعة إجمالاً. ثم خصصت الداعي إلى الله والمدعو بكتاب: **(مقومات الداعي إلى الله وأصناف المدعوين، وفق الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة)**. ووسائل الدعوة وأساليبها بكتاب: **(وسائل الدعوة وأساليبها، وفق الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة)**.

وعلى ضوء ما تقدم؛ ونظراً لإفراد (مجالات أو موضوعات الدعوة) بمقرر خاص في كليات الدعوة، رأيت من المناسب أن أفرد كتاباً على طريقة الكتب السابقة، يكمل الركن الأخير من أركان الدعوة، وهو: (مجالات الدعوة أو موضوعاتها)؛ ليتوافق في الجملة مع التوصيف المقرر للمادة، وقد اعتمدت في مادته العلمية على رسالتي في مرحلة الدكتوراه **(المباحث الدعوية)** مع تهذيب وإعادة صياغة لتتناسب مع مقرر جامعي.

وقد تضمن الكتاب مجالات الدعوة (العقيدة، العبادات، الأخلاق، المعاملات)

وليعلم كل داعٍ إلى الله، وكل معلم وطالب أن أعظم المجالات وأهم المهمات، هو: الدعوة إلى عقيدة التوحيد والتركيز عليها والاهتمام بها؛ فإنه لن تفلح دعوة أزاحت عقيدة التوحيد من مجالاتها أو قصرت بالاهتمام بها.

واستناداً إلى ما تقدم رأيت أن يكون عنوان الكتاب (**مجالات الدعوة إلى الله وكيفية الدعوة إليها**). فأسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به صاحبه في الحياة الدنيا وبعد الممات، إنه سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين



الفصل الأول:
مجال العقيدة وكيفية الدعوة إليها

المبحث الأول:

تعريف العقيدة والتوحيد وأهمية الدعوة إلى عقيدة التوحيد



من المعلوم أن مجال عقيدة التوحيد أعظم المجالات، وأوجب الواجبات، وأهم المهمات، وآكد ما فرضه الله على العباد. فهي الأساس الذي تبنى عليه صحة الأعمال وقبولها، وهي التي ارتضاها الله عَزَّوَجَلَّ لعباده المؤمنين، فتنقذهم من غياهب الضلال والهوى إلى الهدى والحق، وهي التي تضيء لهم الطريق لسعادة الدنيا والآخرة، فتقود من تمسك بها اعتقاداً وقولاً وعملاً إلى جنة عرضها السماوات والأرض، وتنقذه من أن يهوي في نار جهنم، فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ. وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ**».[1].

ومن هنا سيكون إيضاح ذلك وفقاً لما يأتي:

---

(١) أخرجه البخاري، برقم ١٢٩.

المطلب الأول:

تعريف العقيدة والتوحيد



أولاً: العقيدة في اللغة:

مادة (عقد) تدور في اللغة على معنى الشد، والربط، والتوثيق، والتأكيد سواء كان هذا المعنى حسياً أو معنوياً.

قال ابن فارس: "العين والقاف والدال: أصل يدل على شد وشدة وثوق، وإليه ترجع فروع الباب كلها".(١).

يقال عقدت الحبل وعقدت العهد. ومنه قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١] أي: العهود.

والجمع: عقود. ويقال: عقد قلبه على كذا: فلا ينزع عنه.(٢).

ثانياً: العقيدة في الاصطلاح:

المعنى الاصطلاحي يبنى على كل ما يعقد عليه الإنسان قلبه ويجزم عليه؛ بحيث يكون أمراً لا يقبل أدنى شك.

وعلى هذا فللعقيدة مفهومان: عام، وخاص.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ٤/ ٨٦.

(٢) المرجع السابق.

فأما المفهوم العام: "هي ما يعتقده الإنسان ويدين به، من خير وشر، ومن فساد وصلاح"[١].

وأما المفهوم الخاص: فإنه هو المراد إذا أطلقت العقيدة الإسلامية، وهي: عقيدة أهل السنة والجماعة؛ لأنها هي الإسلام الذي ارتضاه الله ديناً لعباده.

وهي كما عرفها الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هي الإيمان الجازم بالله تعالى، وبما يجب له من التوحيد والايمان بالملائكة، وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره؛ وبما يتفرع من هذه الأصول، ويلحق بها مما هو من أصول الدين"[٢].

ثالثاً: بيان معنى (التوحيد):

التوحيد في اللغة: الانفراد، يقال: (واحد قبيلته) إذا لم يكن مثله. ويقال: وحّد يوحد توحيداً: أي: جعله واحداً.

وأغلب عبارات علماء اللغة على أن كلمة التوحيد على وزن التفعيل، وتعنى الوحدة والانفراد والتفرد.[٣].

---

(١) القوادح في العقيدة، لابن باز، ص١٥.

(٢) العقيدة الصحيحة وما يضادها، لابن باز، ص٤٢٣. وانظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، لابن باز، ٨/ ١١.

(٣) لسان العرب، لابن منظور، (٣/ ٤٤٩). ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٦/ ٩٠)، والمصباح المنير، للفيومي (٢/ ٦٥٠).

رابعاً: التوحيد في الاصطلاح:

قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: "التوحيد هو إفراد الله بالعبادة، وهو ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات"[١].

وهذا ما عليه مذهب السلف في بيان معنى التوحيد، حيث إن علماء السلف عرفوا التوحيد بأنه: إفراد الله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.[٢].



(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٢٠)، (ص (١٩١)، تحت عنوان: بيان التوحيد والتحذير من الشرك.

(٢) سيأتي بيان هذه الأنواع، وذكر كلام السلف في المبحث الثاني.

المطلب الثاني:
أهمية الدعوة إلى عقيدة التوحيد



١- بيان أن الدعوة لعقيدة التوحيد هي الأصل الأول في دعوة الأنبياء والمرسلين.

فالبدء بالدعوة لعقيدة التوحيد هو المنهج السديد الذي رسمه الله تعالى لجميع أنبيائه ورسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وهو المنهج العام المضطرد إلى قيام الساعة، والذي يجب أن تؤسس عليه أي دعوة إلى الله تعالى.

قال تعالى مخبرا عما أرسل به جميع الرسل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

وكما ذكر الله عَزَّوَجَلَّ عنهم ذلك على سبيل التعميم، فقد ذكر ذلك على سبيل التفصيل، من ذلك أن نوحاً قال لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وكذلك هود عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٦٥].

وصالح عَلَيْهِ السَّلَامُ قال لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣].

وكذلك شعيب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال لقومه: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥۖ﴾ [الأعراف: ٨٥].

وإبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال لقومه: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ﴾ [العنكبوت: ١٦].

٢- بيان أن كل آية في القرآن الكريم متضمنة لتقرير عقيدة التوحيد وتقرير أصولها.

فجميع ما في القرآن الكريم من أمر ونهي وإخبار يتضمن التوحيد والقيام بحقوقه ومكملاته، يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه؛ فإن القرآن: إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله؛ فهو التوحيد العلمي الخبر. وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه؛ فهو التوحيد الإرادي الطلبي. وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره؛ فهي حقوق التوحيد ومكملاته. وإما خبر عن كرامة الله أهل توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة؛ فهو جزاء توحيده. وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب؛ فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد. فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم "[1].

٣- بيان أن سلامة المعتقد تتوقف عليها سعادة الفرد في الدنيا والآخرة.

وذلك كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم، ٣/ ٤٥٠.

قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: "ومعنى ذلك: أن من أفلت يده من هذه العقيدة فإنه يكون متمسكاً بالأوهام والباطل، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟!"(١).

٤- أن عقيدة التوحيد تنجي صاحبها من عذاب الله يوم القيامة.

فقد روى البخاري عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«مَنْ لَقِيَ اللهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ. وَمَنْ لَقِيَهُ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ»**(٢).

وفي الصحيحين أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«فَإِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ»**(٣).

٥- بيان أن الإشراك بالله يحرم من الجنة والمغفرة، ويوجب العذاب في النار وحبوط جميع الأعمال.

فقد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] وقال سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وقال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].



(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، صالح الفوزان، ص٩.
(٢) أخرجه البخاري، برقم ١٢٩.
(٣) أخرجه البخاري، برقم ٥٠٨٦.

المطلب الثالث:

أهم الدعائم التي تحقق للداعي إلى الله تطبيق ذلك في دعوته



أولاً: أن يدرك الداعية إلى الله بأن أهم واجب وأولى أمر على الداعي إلى الله تعالى هو الالتزام بعقيدة التوحيد والدعوة إليها بكل ما يستطيع، لا يدخر في ذلك جهداً ولا مالاً ولا وقتاً.

يقول سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في فتوى له: "فحقيق بالمسلمين -ولاسيما العلماء- أن يجعلوا كبير عنايتهم ومزيد اهتمامهم بمعرفة حقيقة ما بعث الله به الرسل من أولهم إلى آخرهم، وتعليمهم ذلك، والعمل به ظاهراً وباطناً، والموالاة والمحبة والتناصح فيه والتواصي به "[١].

ويقول في موضع آخر في خطاب له لكافة المسلمين من حجاج بيت الله الحرام وغيرهم: "أوجه خطابي هذا إلى كافة المسلمين من حجاج بيت الله الحرام وغيرهم، نصيحة لهم، وبراءة للذمة، ورجاء أن ينتبهوا من غفلتهم، ويستيقظوا من رقدتهم، ويصير أكبر همهم وجل بحوثهم وعامة كتاباتهم وإرشاداتهم حول تحقيق معرفة ما هم إليه أشد شيء ضرورة من بيان حقيقة ما بعث الله به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ بل ضرورتهم إلى ذلك أعظم من ضرورتهم إلى الطعام والشراب؛ بل أعظم وأكبر من ضرورتهم إلى النفس "[٢].

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٦٠)، (ص ٥٧).

(٢) المرجع السابق.

ويقول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: "وهذا المقام -أعني: -التوحيد- دائماً وأبداً يحتاج إلى مزيد العناية بتوجيه الناس إلى دين الله وتوحيده وإخلاص العبادة له "[١].

ثانيا: أن يدرك الداعية إلى الله أنه كما تجب الدعوة إلى التوحيد، فإنه يجب النهي عن ضده من الشرك وأنواعه ووسائله الموصلة إليه، فقد جاء في رسالة لسماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ خانة لأحد القضاة في إحدى الدول الإسلامية: "فلا يخفاكم فضل الدعوة إلى الله، وأنها مقام رسل الله وخلفائهم، وأنتم أهل كلمة ومقام في بلادكم، والواجب عليكم أن تقوموا بما أوجب الله من النصيحة والإرشاد، وتقفوا حياتكم على الدعوة إلى توحيد الله الذي بعث الله به رسله وأنزل به كتبه.... وكما تحب الدعوة إلى التوحيد يجب النهي عن ضده مما ابتلي به كثير من عبادة القبور والتوسل بالأولياء والصالحين، ونعتقد أن هذا الأمر من بالكم ولكن أحببنا مذاكرتكم ولفت نظركم إلى هذا المهم العظيم "[٢]..

ويقول الشيخ صالح بن فوزان الفوزان: "لقد حذر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **أمته من الشرك غاية التحذير، وسد كل الطرق الموصلة إليه، وحمى جمى التوحيد، ومن ذلك:**

١- أنه نهى عن الغلو في مدحه بما يفضى إلى عبادته من دون الله كما حصل للنصارى في حق عيسى بن مريم فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»[٣].

---

(١) المرجع السابق، العدد (٥١)، (ص ٩).

(٢) المرجع السابق، العدد (٦٠)، (ص ٥٩).

(٣) أخرجه البخاري، برقم ٣٤٤٥.



٢- نهى عن الغلو في تعظيم قبور الصالحين بالبناء عليها وإسراجها وتخصيصها والكتابة عليها، لأن هذا يفضي إلى عبادتها وطلب قضاء الحوائج من الموتى.

٣- نهي عن الصلاة عند القبور سواء بني عليها مساجد أم لا، لأن ذلك وسيلة لعبادتها ولو على المدى الطويل...[1].

ومن هنا يظهر خطأ بعض الدعاة والمناهج الدعوية التي لا تحتم بالدعوة إلى عقيدة التوحيد، ولا بالنهي عن ضدها، ولا ترفع بذلك رأساً، وتريد جمع القلوب على غير التوحيد.

فلن تفلح دعوة أزاحت العقيدة من اهتمامها مهما كثر أتباعها وتعددوا، ولن تجتمع قلوب هذه الأمة إلا على التوحيد، فإذا اختل التوحيد فكل له هدف ومقصود، وعندها تتعدد الأودية والشعاب، وكل يسلك وادياً يضل فيه، إلا من عصم الله بالبقاء على التوحيد.

ثالثاً: أن يدرك الداعية إلى الله أن سلوك الطريق القويم في الدعوة إلى عقيدة التوحيد يحقق له الهداية والتوفيق والسداد من الله جَلَّ وَعَلَا كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده، ولم يشركوا به شيئاً، هم الآمنون يوم القيامة المهتدون في الدنيا والآخرة"[2].

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٢٠)، (ص ٢٠٠).

(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٢/ ١٤٥.

رابعاً: أن يعلم الداعية إلى الله أن سلامة عقيدته تحفظه بإذن الله من شرور الدنيا والآخرة، فإن الله يدفع عنه كيد الكائدين من شياطين الإنس والجن، وأما من فسدت عقيدته فهو عرضة للآفات والبليات؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

قال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فالإيمان بمنزلة السماء محفوظة مرفوعة، ومن ترك الإيمان بمنزلة الساقط من السماء عرضة للآفات والبليات، فإما أن تخطفه الطير فتقطعه أعضاء، كذلك المشرك إذا ترك الاعتصام بالإيمان تخطفه الشياطين من كل جانب، ومزقوه، وأذهبوا عليه دينه ودنياه "(١).

خامساً: أن يوقن الداعية إلى الله بأن تمسكه بعقيدة التوحيد والدعوة إليها سبب عظيم لنصره وتأييده بالحق مهما كثر أهل الأهواء والبدع، فقد ثبت عن النبي أنه قال: «لَا يَزَالُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»(٢).

ومن أمثلة تحقيق النصر والتأييد في الواقع القريب نصر الله و الدولة التوحيد حينما تعاهد الإمامان محمد بن سعود ومحمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُمَا ٱللَّهُ على نشر عقيدة التوحيد في أرجاء الجزيرة العربية، فحدث لهما ذلك، ونصرهما الله على أهل الأهواء والبدع والخرافات، فعم التوحيد أرجاء الجزيرة إلى يومنا هذا.

سادساً: إدراك الداعية إلى الله أن التزامه بعقيدة التوحيد ودعوته إليها تؤول إلى تقوية مداركه وملكاته وقدراته العقلية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بصدد

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لابن سعدي، ص٥٣٨.

(٢) أخرجه البخاري، برقم ٣٦٤٠. ومسلم، برقم ١٩٢١.

هذا الأمر: "فكل من استقرأ أحوال العالم وجد المسلمين أحد وأشد عقلاً، وأنهم ينالون في المدة اليسيرة من حقائق العلوم والأعمال أضعاف ما يناله غيرهم في قرون وأجيال وكذلك أهل السنة والحديث تجدهم كذلك متمتعين؛ وذلك لأن اعتقاد الحق الثابت يقوي الإدراك ويصححه؛ قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧] وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّآتَيْنَاهُم مِّن لَّدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ٦٦ - ٦٨][1].

---

(١) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، ٤/ ١٢.

المبحث الثاني:
موضوعات من العقيدة وكيفية الدعوة إليها



المطلب الأول:
أنواع التوحيد وكيفية الدعوة إليها



إن التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، والذي أرسلت به الرسل وأنزلت به الكتب ينقسم باستقراء نصوص القرآن والسنة إلى ثلاثة أنواع:

توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

يقول الإمام ابن بطة العكبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً هذه الأقسام: "وذلك أن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته، ليكون بذلك مبايناً المهذب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعاً.

والثاني: أن يعتقد وحدانيته، ليكون مبايناً بذلك مذاهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقده موصوفاً بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفاً بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه، إذ قد علمنا أن كثيراً من يقر به ويوحده بالقول المطلق قد يتحد في صفاته، فيكون الحادة في صفات قادماً في توحيده.

ولأنا نجد الله تعالى قد خاطب عبادة بدعائهم إلى اعتقاد كل واحدة من هذه الثلاث والإيمان بها"[١].

ويقول الإمام أبو جعفر الطحاوي في مقدمة متنه في العقيدة المشهورة بالطحاوية "نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره"[٢].[٣]

ومن هنا فقد صار أهل العلم على ما كان عليه سلف الأمة من تقسيمهم للتوحيد، ومن ذلك ما قاله سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعليقه على العقيدة الطحاوية: "اعلم أن التوحيد الذي بعث الله به الرسل وأنزل به الكتب ينقسم إلى أقسام ثلاثة حسب استقراء النصوص من الكتاب والسنة وحسب

---

(١) الإبانة من اليها الفرقة الناحية والمائية الفرقة المدعومة، لابن بطة العكبري، ص١٥٠.

(٢) العقيدة الطحاوية، للإمام الطحاوي، ص٤.

(٣) هذا التقسيم هو الذي درج عليه أكثر أئمة السلف، وترجع إليه التقسيمات الأخرى التي ذكرها بعضهم كمن جعله في أربعة أقسام حيث جعل توحيد الأسماء قسماً وتوحيد الصفات قسما آخر، ومنهم من أضاف قسما رابعاً إلى الثلاثة وهو توحيد الاتباع، ومنهم من جعله قسمين: توحيد المعرفة والإثبات ويشمل الربوبية والأسماء والصفات، وتوحيد القصد والطلب وهو الألوهية. وهذا الاختلاف اختلاف تنوع لا تضاد، إذ المضمون والأصل قد اتفقوا عليه. وممن أشار إلى هذا التقسيم تنبيهاً وتصريحاً غير من ذكر في المتن: الحافظ ابن منده في كتابه التوحيد (٣٣/ ١)، والإمام أبو القاسم الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (٩٥/ ١)، والإمام المقدسي في كتابه التوحيد الله (ص ٣٢)، والسفاريني في لوامع الأنوار (١٢٨/ ١)، وأوسع من فصل في هذا ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٨٩/ ٣-١٠٩) و(٨٣/ ٩) و (٢٨٤/ ١٠-٢٨٦)، وفي التدمرية (ص ٤-٥)، وابن القيم في مدارج السالكين (٣٣/ ١) و (٤٦٨/ ٣).

واقع المكلفين: القسم الأول: توحيد الربوبية.. القسم الثاني: توحيد العبادة... ويسمى توحيد الألوهية... القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات "[١].

وقال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان في بحث له بعنوان: بيان التوحيد والتحذير من الشرك: "التوحيد هو إفراد الله بالعبادة، وهو ثلاثة أنواع: ١- توحيد الربوبية. ٢- توحيد الألوهية. ٣- توحيد الأسماء والصفات "[٢].

وفي فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على سؤال عن أنواع التوحيد: "أنواع التوحيد ثلاثة: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات[٣]"[٤].

وفيما يأتي تفصيل ذلك:

النوع الأول: توحيد الربوبية:

وهو توحيد الله بأفعاله من الخلق والرزق والإحياء والإماتة ونحو ذلك.[٥].

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٥)، (ص ٢٥٧).

(٢) المرجع السابق، العدد (٢٠)، (ص ١٩١).

(٣) فتوى رقم (٨٩٤٣) في مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٣١)، (ص ٦٨).

(٤) للاستزادة: انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٧)، (ص (٨)، والعدد (١٥)، (ص ٢٥٧)، والعدد (١٩)، (ص (١١)، والعدد (٢٠)، (ص (١٩١)، والعدد (٣١)، (ص ٦٨)، والعدد (٣٩)، (ص ٧)، والعدد (٥١)، (ص٩).

(٥) فتوى رقم (٩٧٧٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٣١)، (ص ٦٨)، وانظر: العدد (١٥) (ص ٢٥٧)، والعدد (١٩)، (ص (١١)، والعدد (٢٠)، (ص (١٩٢)، والعدد (٥١)، (ص ١٢).

وهذا النوع من التوحيد قد أقر به المشركون واحتج الله عليهم به؛ لأنه يستلزم توحيد الألوهية.

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن عرف توحيد الربوبية: "فإن المشركين قد أقروا بذلك واحتج الله عليهم به؛ لأنه يستلزم توحيد العبادة ويقتضيه كما قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت: ٦١].

وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [يونس: ٣١].

المعنى: فقل: أفلا تتقون الإشراك به في عبادته وأنتم تعلمون أنه الفاعل لهذه الأشياء.

وقال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤ - ٨٩].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، وكلها دالة على إقرارهم بأفعال الرب، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام لعدم إخلاصهم العبادة لله وحده، وذلك حجة

عليهم فيهما أنكروه من توحيد العبادة؛ لأن الخالق لهذه الأشياء التي أنكروها هو المستحق لأن يعبد وحده لا شريك له "(١).

أهم الدعائم التي تسهم في حسن الدعوة لما تقدم:

أولاً: على الداعي إلى الله أثناء دعوته المشركين أن يحتج عليهم بإقرارهم بتوحيد الربوبية، فالذي خلق ورزق وأحيا وأمات هو المستحق للعبادة دون آلهة أخرى من وثن أو شجر أو حجر أو قبر أو غير ذلك.

ثانياً: أن يعلم الداعي إلى الله أن هناك نزراً بين الناس من الطبائعيين والماديين(٢) ينكرون وجود الله تعالى وقد حكى الله مقولتهم: ﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ﴾ [الجاثية: ٢٤] فيلزمه التسلح بالأدلة التي تبرهن على وجود الله عَزَّوَجَلَّ، وإن كان الأمر في حقيقته لا يحتاج إلى ذلك؛ لأن كل ما في الكون دليل على وجوده كما قال ابن القيم رَحِمَهُٱللَّهُ: "قال بعض العارفين: كيف أطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء، فأي دليل طلبته عليه فوجوده أظهر منه، ولهذا قالت الرسل لقومهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠](٣).

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٩)، (ص (١٢)، وانظر: العدد (١٥)، (ص ٢٥٧)، والعدد (٢٠) (ص ١٩٢)، والعدد (٣١)، (ص (٦٨)، والعدد (٥١)، (ص (١٢).

(٢) يقول الشهرستاني: "وهم معطلة العرب الذين أنكروا الخالق والبعث والإعادة. وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفني"الملل والنحل، للشهرستاني، ٢/ ٢٣٥. وسار على شاكلتهم في عصرنا الحاضر الملاحدة.

(٣) الفوائد، لابن القيم، ص٢٩. وللاستزادة حول هذه الأدلة انظر: أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، للدكتور حمود بن أحمد الرحيلي، ص١٣٧-١٤٧.

ومن تلك الأدلة ما يأتي:

١ - توجيه الله تعالى الأنظار إلى ما في هذا الكون من مخلوقات عجيبة تبهر العقول.

فهذه المخلوقات العظيمة التي خلقها الله جَلَّ وَعَلَا تدل دلالة واضحة على كمال قدرته، وعظيم تدبيره، وإتقان صنعه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[البقرة: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[الغاشية: ١٦ - ٢٠].

قال سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ في معرض استدلاله على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وأنه الخالق: "وكل إنسان ذي فطرة سليمة يعترف بذلك ومجبول على الإقرار به، لما يشاهده في نفسه من خلقه على هذه الصورة الجميلة السوية المعتدلة الكاملة الشكل والوظيفة، وعجائب الإبداع في خلقه أضخم من إدراكه، ثم ما يشاهد من الحدوث والخلق والتسخير في مخلوقات الله الأخرى كالسماوات بما هي عليه من ارتفاع على غير عمد نراها، وما فيها من الكواكب الكبار والصغار النيرة من السيارة وغير السيارة ومن الثوابت، ودورانها في الفلك العظيم في كل يوم وليلة، كما أن لها في نفسها سيراً يخصها، وكالبحار المكتنفة للأرض من كل جانب، والجبال الموضوعة فيها لتقر وتسكن مع اختلاف أشكالها

وألوانها، وكالأنهار السارحة من قطر إلى قطر للمنافع، وما ذرأ الله في الأرض من الحيوانات المتنوعة، والنباتات المختلفة الطعوم والروائح والأشكال والألوان مع اتحاد طبيعة التربة والماء، وكذلك اختلاف الليل والنهار والشمس والقمر وتعاقبها بنظام لا يختلف ولا يتبدل، كل ذلك دليل على وجود الله العلي القدير وقدرته العظيمة وحكمته ورحمته بخلقه ولطفه بهم وإحسانه إليهم"(١).

٢- إخبار الله تعالى بوجوده وعن ربوبيته للخلق أجمعين.

ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣] وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢].

٣-إحياء العباد بعد موتهم.

فمن الأدلة الدالة على وجود الله وأنه الخالق الرازق إحياء الله العباد بعد موتهم. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

هذا استدلال قاطع على أن الإيمان بالله تعالى أمر مستقر في الفطر والعقول، وأنه لا عذر لأحد في الكفر به ألبتة، فذكر تعالى أربعة أمور ثلاثة منها مشهودة في هذا العالم، والرابع منتظر موعود به وعد الحق:

* أ- كونهم كانوا أمواتاً لا أرواح فيهم، بل نطفاً وعلقاً ومضغة مواتاً لا حياة فيها.

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العد (٥٨)، (ص ٢٧).

* ب-أنه تعالى أحياهم بعد هذه الإماتة.
* ج-أنه تعالى يميتهم بعد هذه الحياة.
* د- أنه يحييهم بعد هذه الإماتة فيرجعون إليه.

فما بال العاقل يشهد الثلاثة الأطوار الأول ويكذب بالرابع؟، وهل الرابع إلا طور من أطوار التخليق؟، فالذي أحياكم بعد أن كنتم مواتاً، ثم أماتكم بعد أن أحياكم، ما الذي يعجزه عن إحيائكم بعد ما يميتكم؟، وهل إنكاركم ذلك إلا كفر مجرد بالله تعالى، فكيف يقع منكم بعدما شاهدتموه؟، ففي ضمن هذه الآية الاستدلال على وجود الخالق وصفاته وأفعاله على المعاد "[1].

٤- أدلة الفطرة.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ﴾[الروم: ٣٠].

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»[2].

وقد مثل شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ للفطرة مع الحق فقال: "ومثل الفطرة مع الحق مثل ضوء العين مع الشمس وكل ذي عين لو ترك بغير حجاب رأى الشمس والاعتقادات الباطلة العارضة - من تهويد وتنصر وتمجس مثل حجاب يحول بين البصر ورؤية الشمس، وكذلك كل ذي حس سليم يحب الحلو

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم، ٤/ ١١٦.

(٢) أخرجه البخاري، برقم ١٣٥٨. ومسلم، برقم ٢٦٥٨.

إلا أن يعرض في طبيعته فساد يحرفه حتى يجعل الحلو من فمه مراً، ولو خلي المولود من غير معارض ومن غير مغير لما كان إلا مسلماً ولم يعدل عن ذلك إلى غيره، كما أنه يولد على محبة ما يلائم بدنه من ارتضاع اللبن حتى يصرفه عنه صارف، ومن ثم شبهت الفطرة باللبن، فهي تستلزم معرفة الله ومحبته وتوحيده"(١).

٥-الأدلة العقلية:

ومن هذه الأدلة ما يأتي:

أ- التقسيم العقلي: وهو أن هذه المخلوقات إما أن توجد بنفسها صدفة كما يقولون من غير محدث ولا خالق خلقها!، وهذا محال تجزم العقول ببطلانه ضرورة، وإما أن تكون هذه المخلوقات هي الخالقة لنفسها، وهذا محال - أيضاً -بضرورة العقل، لأن الشيء قبل وجوده معدوم، فكيف يكون خالقاً ؟!.

فإذا بطل هذا القسمان عقلاً وفطرةً، وبان استحالتهما تعين القسم الثالث، وهو أن هذه المخلوقات بأجمعها لابد لها من خالق وهو الله جل في علاه كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٦].

ب- أن الصدفة العمياء لا تملك حياة: فمثل من يقول أو يعتقد أن هذا النظام والإبداع والإتقان وجد بطريق الصدفة لا غير، كمثل من وضع حروف الهجاء: أ، ب، ت، في صندوق، ثم جعل يحركه طمعاً منه أن تتألف هذه الحروف من تلقاء نفسها، فيتركب منها قصيدة بليغة، أو كتاب دقيق في الهندسة، أليس ذلك من السفه البين، ونقص العقل؟(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٤/ ٢٤٧.

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، ٣/ ١١٣. والفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، ١/ ٦٦.



النوع الثاني: توحيد الألوهية:

وهو إفراد الله تعالى بالعبادة من صلاة وصوم وحج وزكاة ونذر وذبح وغيرها من أنواع العبادة"[١].

ومن الأدلة الشرعية بالعناية بهذا النوع من التوحيد ما يأتي:

١ - بيان أن الله خلق الخلق وأرسل الرسل من أجل توحيد الألوهية.

كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال جل شأنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

٢ - إيضاح أن توحيد العبادة هو الذي أنكره المشركون حين دعتهم الرسل إليه.

كما قال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠].

وما ذكر الله عنهم بقوله: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥].

وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٥ - ٣٦].

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٥)، (ص ٢٥٧)، والعدد (١٩)، (ص ١٣)، والعدد (٢٠)، (ص ١٩٢)، والعدد (٣١)، (ص ٦٨).

٣- أن توحيد الألوهية هو معنى (لا إله إلا الله):

قال سماحة الشيخ عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وهذا القسم يتضمن إخلاص العبادة الله وحده والإيمان بأنه المستحق لها وأن عبادة ما سواه باطلة، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، فإن معناها: لا معبود حق إلا الله كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[الحج: ٦٢](١).

٤- أن أول أمر في القرآن الكريم أمره بتوحيد الألوهية، وأول نهي هو نهي عن ضده وهو الشرك؛

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢١ - ٢٢].

فهاتان الآيتان هما أول موضع في المصحف جاء فيه الأمر والنهي، وقد اشتملتا على أعظم مأمور به وهو عبادة الله عَزَّوَجَلَّ في قوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] وأعظم منهي عنه وهو الشرك في قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢٢].

٥- بيان أنه أفضل الأعمال وأن أعظم الذنوب الشرك.

فالتوحيد أفضل عمل؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ. قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ. قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ»(٢).

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٥)، (ص ٢٥٨).

(٢) أخرجه البخاري، برقم ٢٦.

والشرك أعظم ذنب عصي الله به لحديث ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: "سَأَلْتُ النَّبِيَّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: «**أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ**»(١).

٦-أن أغلب آيات القرآن جاءت في تأكيده والنهي عن ضده وهو الشرك.

مثل: قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[الممتحنة: ٤]، وقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[الزخرف: ٤٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء: ٤٨].

*** أهم الدعائم التي تسهم في حسن الدعوة لتوحيد العبادة:**

١- على الداعي إلى الله أن يتقي الله جَلَّ وَعَلَا ويعتني ببيان توحيد العبادة غاية العناية؛ ليقوم بما أوجب الله عليه من البيان ويسلم من مغبة الكتمان؛ فقد قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[آل عمران: ١٨٧]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾[البقرة: ١٥٩ - ١٦٠].

٢- أن يعلم أن المسؤولية العظيمة والتبعة الجسيمة تقع عليه بوجه أشد وأعظم إن كان في البلدان التي ابتليت بتعظيم القبور والافتتان بها والبناء عليها

(١) أخرجه البخاري، برقم ٤٤٧٧.

واتخاذها مساجد؛ لأن هذه الأعمال من أعظم الوسائل المؤدية إلى الشرك من دعاء أصحاب القبور والاستغاثة بهم وسؤالهم قضاء الحاجات وكشف الكربات، وهذا من صرف حق الله إلى غير الله، وقد قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢]، وقال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨].

٣- أن يحذر الداعي إلى الله من التشاغل بتقرير توحيد الربوبية عن بيان توحيد الألوهية والدعوة إليه والتحذير من الشرك ووسائله؛ لأن هذا النوع من التوحيد قد أقر به الكفار الذين بُعث فيهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يدخلهم في الإسلام، وإنما أنكروا توحيد الألوهية، فعليه أن يبين أنواع الثلاثة: توحيد الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، وتكون العناية أشد وأعظم ببيان توحيد الألوهية والتحذير من ضده و هو الشرك بالله، وبذلك يكون الداعي إلى الله هادياً مهدياً يظفر بثواب أعماله الصالحة وبمثل أجور كل من اهتدى بسبب دعوته.

٤- أن يهتم الداعي إلى الله بأساليب القرآن في الدعوة إلى توحيد الألوهية، والتي منها ما يأتي[1]:

أ- التنديد بما يتخذه الناس آلهة من دون الله، وإظهار حالها من العجز الشنيع والفقر البالغ والغفلة عمن يدعوها ويفزع إليها.

(١) انظر هذه الأساليب في بحث علمي في مجلة البحوث الإسلامية العدد (٧٦)، (ص ٩٨) وما بعدها.

مثل قوله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٩١ - ١٩٢]، وقوله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [النحل: ٧٣]،

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ [الحج: ٧٣].

٢- الاحتجاج بتفرد الله بالربوبية وكمال التصرف والنفع و الضر وغيرها من خصائص الربوبية على استحقاقه وحده للعبادة ووجوب إفراده بالألوهية.

مثل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

٣- التشنيع بحال العابدين لهذه الآلهة الباطلة حيث رضوا لأنفسهم أن يعبدوا ما لا يسمع ولا يبصر ولا يملك لهم ضرا ولا نفعاً ولا تغني شفاعتهم عنهم شيئاً، وذلك مثل قوله تعالى: - على لسان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ في خطابه لقومه- ﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنبياء: ٦٦ - ٦٧].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنبياء: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥].

٤- بيان عاقبة المشركين الذين يعبدون غير الله، وبيان مألهم مع من عبدوهم حيث تتبرأ تلك المعبودات من عابديها في أحرج المواقف.

مثل: قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٤ - ١٦٧].

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥ - ٦].

٤- الاحتجاج بتفرد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بكمال الأسماء والصفات وانتفاء ذلك عن آلهة المشركين، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣].

وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

وقوله تعالى عن خليله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال لأبيه: ﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴾ [مريم: ٤٢].

وقوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم: ٦٥].

وقوله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَٰلِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٨].

٥- الوعد لمن وحده والوعيد لمن أشرك به.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥].

٦- **رده سبحانه على المشركين في اتخاذهم** الوسائط بينهم وبينه بأن الشفاعة ملك له سبحانه لا تطلب إلا منه ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه بعد رضاه عن المشفوع له.

كما في قوله تعالى: ﴿ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَآءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ الشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر: ٤٣ - ٤٤].

وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى السَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [النجم: ٢٦].

٧- **ضرب الأمثلة التي تبين أن المشرك مهما عمل فلن ينال رضا معبوده؛ ذلك** أن إرضاءه أحد الشريكين مسخط للآخر، على عكس الموحد.

كما قال تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الزمر: ٢٩].

01-14-26

النوع الثالث: توحيد الأسماء والصفات

أولاً: بيان المراد بتوحيد الأسماء والصفات

جاء في فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: "أن تصف الله بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتسميه بما سمى به نفسه، أو سماه به رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من غير تشبيه ولا تمثيل، ومن غير تحريف ولا تعطيل "[١].

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ "توحيد الأسماء والصفات هو الإيمان بكل ما ورد في كتاب الله العزيز وفي السنة الصحيحة عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أسماء الله وصفاته، وإثباتها لله سبحانه من غير تكييف ولا تمثيل، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾[الإخلاص: ١ - ٤].

وقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الشورى: ١١].

وقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[الأعراف: ١٨٠].

---

(١) من فتاوى اللجنة الدائمة رقم (٢٧٧٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٣١)، (ص ٦٨)، وانظر: العدد (١٩)، (ص (١٣) والعدد (٥١)، (ص ١٣)، والعدد (١٥)، (ص ٢٥٨)، والعدد)٢٠)، (ص ١٩٤).

وهذا هو ما عليه السلف الصالح من أهل السنة والجماعة، يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لله أسماء وصفات جاء بها كتابه، وأخبر بها نبيه أمته، لا يسع أحداً من خلق الله قامت عليه الحجة ردها.... نحو: إخبار الله سبحانه إيانا أنه سميع بصير، وأن له يدين لقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤] وأن له يميناً لقوله: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧][(١)].

ويقول الإمام الصابوني[(٢)]: "أصحاب الحديث يعرفون ربهم بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهد له بها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ما وردت به، ونقلته العدول الثقات عنه، ويثبتون له جَلَّ جَلَالُهُ منها ما أثبته لنفسه في كتابه وعلى لسان رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ."[(٣)].

* فعلى الداعي إلى الله اعتقاد ما عليه أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته والدعوة إليه فالاشتغال بذلك اشتغال بما خُلق له العبد، وتركه وتضييعه إهمال لما خلق له.

وقبيح بالداعية إلى الله أن يكون جاهلاً بربه، معرضاً عن معرفته ومعرفة أسمائه وصفاته. قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد ذكره لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٤/ ١٨٢.

(٢) هو إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني الحافظ، مؤلف كتاب عقيدة السلف وأصحاب الحديث، توفي سنة (٤٤٩هـ). انظر: البداية والنهاية، لابن كثير، ١٢/ ٧٦.

(٣) عقيدة السلف أصحاب الحديث، للصابوني، ص٣.

شَيْءٍ عِلْمًا ﴾ [الطلاق: ١٢] "فأخبر أنه خلق العالم ليعرّف عباده كمال قدرته وإحاطة علمه، وذلك يستلزم معرفته ومعرفة أسمائه وصفاته وتوحيده".(١).

ثانياً: ذكر القواعد المهمة في أسماء الله وصفاته.

جاء في بحث علمي لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مجلة البحوث الإسلامية بيان أهم القواعد في الأسماء والصفات، والتي منها ما يأتي(٢):

١- الأدلة التي تثبت بها أسماء الله تعالى وصفاته هي: كتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا تثبت أسماء الله وصفاته بغيرهما، وعلى هذا:

فما ورد إثباته الله تعالى من ذلك في الكتاب والسنة وجب إثباته.

وما ورد نفيه فيهما وجب نفيه مع إثبات كمال ضده.

وما لم يرد إثباته ولا نفيه فيهما: وجب التوقف في لفظه، فلا يثبت ولا يُنفى لعدم ورود الإثبات والنفي فيه. وأما معناه فيفصل فيه: فإن أريد به حق يليق بالله تعالى فهو مقبول، وإن أريد به باطل لا يليق بالله عَزَّوَجَلَّ وجب رده.

ومن أمثلة ذلك: لفظ (الجهة)، فلو سأل سائل هل نثبت الله تعالى جهة؟

قلنا له: لفظ الجهة لم يرد في الكتاب والسنة إثباتاً ولا نفياً، ويغني عنه ما ثبت فيهما من أن الله تعالى في السماء، وأما معناه: فإما أن يراد به جهة سفل، أو جهة علو تحيط بالله، أو جهة علو لا تحيط به.

(١) بدائع الفوائد، لابن القيم، ٤/ ١٥٩٣.

(٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٢)، (ص ٢٠٩).

فالأول باطل؛ لمنافاته لعلو الله تعالى الثابت بالكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع.

والثاني باطل أيضا؛ لأن الله تعالى أعظم من أن يحيط به شيء من مخلوقاته.

والثالث حق؛ لأن الله تعالى العلي فوق خلقه ولا يحيط به شيء من مخلوقاته.

ودليل هذه القاعدة: السمع والعقل، فأما السمع فمنه: قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، وقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وأما العقل: فنقول: إن تفصيل القول فيما يجب أو يمتنع أو يجوز في حق الله تعالى من أمور الغيب التي لا يمكن إدراكها بالعقل، فوجب الرجوع فيه إلى ما جاء في الكتاب والسنة.

٢- الواجب في نصوص القرآن والسنة إجراؤها على ظاهرها دون تحريف -لا سيما نصوص الصفات- حيث لا مجال للرأي فيها.

والدليل على ذلك السمع والعقل. فأما السمع: فقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، وهذا يدل على وجوب فهمه على ما يقتضيه ظاهره باللسان العربي إلا أن يمنع منه دليل شرعي.

وقد ذم الله تعالى اليهود على تحريفهم، وبيّن أنهم بتحريفهم من أبعد الناس من الإيمان، فقال: ﴿۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٧٥].

وأما العقل: فلأن المتكلم بهذه النصوص أعلم بمراده من غيره، وقد خاطبنا باللسان العربي المبين، فوجب قبوله على ظاهرة وإلا لاختلفت الآراء وتفرقت الأمة.

٣- ظواهر نصوص الصفات معلومة لنا باعتبار، ومجهولة لنا باعتبار آخر، فباعتبار المعنى هي معلومة، وباعتبار الكيفية التي هي عليها مجهولة.

وقد دل على ذلك السمع والعقل، فمن السمع: قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾[ص: ٢٩].

والتدبر لا يكون إلا فيما يمكن الوصول إلى فهمه ليتذكر الإنسان بما فهمه منه، وكون القرآن عربياً ليعقله من يفهم العربية يدل على أن معناه معلوم وإلا لما كان فرق بين أن يكون باللغة العربية أو غيرها.

وأما العقل فلأن من المحال أن ينزل الله تعالى كتاباً أو يتكلم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكلام يقصد بهذا الكتاب وبهذا الكلام أن يكون هداية للخلق ويبقى في أعظم الأمور وأشدها ضرورة مجهول المعنى بمنزلة الحروف الهجائية التي لا يفهم منها شيء؛ لأن ذلك من السفه الذي تأباه حكمة الله تعالى، وقد قال تعالى عن كتابه: ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود: ١].

فهذه دلالة السمع والعقل على علمنا بمعاني نصوص الصفات.

وأما دلالتها على جهلنا لها باعتبار الكيفية فمن السمع: قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]. ومن المعلوم أنه لا علم لنا بكيفية صفات ربنا؛ لأنه تعالى أخبرنا عنها ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تكييفنا قفواً لما ليس لنا به علم، وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به.

وأما العقل: فلأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته، أو العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصادق عنه، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله عَزَّوَجَلَّ، فوجب بطلان تكييفها"[١].

وبناء على ما تقدم: فالواجب على الداعي إلى الله الاهتمام بهذه القواعد، ومعرفتها؛ ليضبط منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته، ويرد على أي شبهة قد تعرض عليه، وما أكثر أصناف المدعوين الذين ضلوا في هذا الباب من الطوائف والفرق الإسلامية.

وعليه أيضاً أن يبث هذه القواعد الحسان، ويدعو لها، ويعلمها الناس ليلتزموا بمنهج أهل السنة والجماعة، فيحصل على خيري الدنيا والآخرة.

ثالثاً: الرد على من ضل في باب الأسماء والصفات:

ومن أمثلة ذلك: رد فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين[٢] رَحِمَهُ ٱللَّهُ على من ضل في باب الأسماء والصفات، فقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في معرض رده على بعض الطوائف:

---

(١) للاستزادة انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٢)، (ص ٢٠٩-٢٤٤).

(٢) المرجع السابق، العدد (١٤)، (ص ٣١٧).

"أهل التعطيل: سواء كان تعطيلهم عاماً في الأسماء والصفات أم خاصاً فيهما أو في أحدهما، فهؤلاء صرفوا النصوص عن ظاهرها إلى معاني عينوها بعقولهم، واضطربوا في تعيينها اضطراباً كثيراً، وسموا ذلك تأويلاً، وهو في الحقيقة تحريف.

ومذهبهم باطل من وجوه:

أحدها: أنه جناية على النصوص، حيث جعلوها دالة على معنى باطل غير لائق بالله ولا مراد له.

الثاني: أنه صرف لكلام الله تعالى وكلام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ظاهره، والله تعالى خاطب الناس بلسان عربي مبين؛ ليعقلوا الكلام ويفهموه على ما يقتضيه هذا اللسان العربي، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاطبهم بأفصح لسان البشر؛ فوجب حمل كلام الله ورسوله على ظاهره المفهوم بذلك اللسان العربي، غير أنه يجب أن يصان عن التكييف والتمثيل في حق الله عَزَّوَجَلَّ... "(١).

وقال فضيلة الشيخ حمود بن عبد الله التويجري في رده على أحد الكُتاب الذين يقولون إن الله بذاته فوق العالم وهو بذاته في كل مكان: "وأما مخالفة صاحب المقال لكتاب الله تعالى: فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذكر استواءه على العرش في سبعة مواضع من القرآن:

الموضع الأول: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾[الأعراف: ٥٤].

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٢)، (ص ٢١٨).

الموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [يونس: ٣].

الموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢].

الموضع الرابع: قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

الموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩].

الموضع السادس: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤].

الموضع السابع: قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الحديد: ٤][(١)].

فعلى الداعية إلى الله تعالى الرد على من يضل في أسماء الله وصفاته، وتبيين الحق له، خصوصاً إن كان في الأماكن التي يكثر فيها الضلال في هذا الباب، وهذا يتطلب منه التزود من العلم ومعرفة منهج أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات.

وينبغي له أيضاً أن يتفطن لأمر مهم أثناء دعوته للناس، وهو دلالتهم على الفوائد العظيمة لمعرفة منهج أهل السنة والجماعة في الأسماء والصفات، وما تثمر عنه من محبة الله عَزَّوَجَلَّ وعبادته على الوجه الذي أمرنا به، قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٢)، (ص ١٣٤).

"والأسماء الحسنى والصفات العلى متقضية لآثارهما من العبودية..... فعلم العبد يتفرد الرب تعالى بالضر والنفع والعطاء والمنع والخلق والرزق والإحياء والإماتة يثمر له عبودية التوكل عليه باطناً، ولوازم التوكل وثمراته ظاهراً، وعلمه بسمعه تعالى وبصره وعلمه، وأنه لا يخفى عليه مثقال ذرة في السماوات والأرض، وأنه يعلم السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور؛ يثمر له حفظ لسانه وجوارحه وخطرات قلبه عن كل ما لا يرضي الله، وأن يجعل تعلق هذه الأعضاء بما يحبه الله ويرضاه فيثمر له ذلك الحياء باطناً، ويثمر له الحياء اجتناب المحرمات والقبائح، ومعرفته بغناه وجوده وكرمه وبره وإحسانه ورحمته توجب له سعة الرجاء، ويثمر له ذلك من أنواع العبودية الظاهرة والباطنة بحسب معرفته وعلمه"[1].

---

(١) مفتاح دار السعادة، لابن القيم، ٢/ ٥١٠.

المطلب الثاني:
أركان الإيمان وكيفية الدعوة إليها



قد أوجب الله تعالى الإيمان به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]، وقال سبحانه: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

ولما سأل جبريل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الإيمان؟ قال صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»(١).

وقبل الحديث عنها لابد من الوقوف على تعريف الإيمان.

فالإيمان في اللغة: الإقرار والتصديق بالشيء عن وثوق به وأمان(٢).

وأما في الاصطلاح: فقال سماحة الشيخ: عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "الذي عليه أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول وعمل واعتقاد، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية"(٣).

---

(١) أخرجه البخاري، برقم ١٥٠. ومسلم، برقم ٨.

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ١/ ١٣٣. الصحاح، للجوهري، ٢/ ١٥٢٥. وانظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٧/ ٢٩٠.

(٣) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٥)، (ص ٢٦٤).

وهذا ما عليه سلف هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وسار على نهجهم يقول الإمام البغوي[١] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "اتفقت الصحابة والتابعون فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان، وقالوا: "إن الإيمان قول وعمل وعقيدة يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية "[٢].

وقال الإمام الآجري[٣] رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "اعلموا - رحمنا الله وإياكم - أن الذي عليه علماء المسلمين: أن الإيمان واجب على جميع الخلق، وهو تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح.

ثم اعلموا أنه لا تجزئ المعرفة بالقلب والتصديق إلا أن يكون معه الإيمان باللسان نطقاً، ولا تجزئ معرفة بالقلب ونطق باللسان حتى يكون عمل بالجوارح، فإذا كملت هذه الخصال كان مؤمناً، دل على ذلك الكتاب والسنة وقول علماء المسلمين[٤]"[٥].

فعلى الداعية إلى الله التزام منهج أهل السنة والجماعة في الإيمان ودعوة الناس إليه وبيان الأدلة من الكتاب والسنة على ذلك.

---

(١) هو العلامة الحسين بن مسعود البغوي الحافظ، الملقب بمحي السنة، توفي سنة ٥١٦هـ. انظر: وفيات الأعيان، ٢/ ١١٥. وسير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٩/ ٤٣٩.

(٢) شرح السنة للبغوي، ١/ ٣٨.

(٣) هو أبوبكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري، نسبة إلى آجر من قرى بغداد، الإمام الفقيه المحدث الحافظ الثقة، توفي سنة ٣٦٠ هـ. انظر سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣٣/٦).

(٤) الشريعة، للإمام الآجري، ص ١١٩.

(٥) للاستزادة انظر: كتاب السنة، لعبد الله بن أحمد، ١/ ٣٠٧. والإبانة، لابن بطة، ص ١٧٦، والاعتقاد، للبيهقي، ص ١٧٤، والإيمان، لابن تيمية، ص ١٨٦، وشرح العقيدة الطحاوية، لأبي العز الحنفي، ص ٢٨٨، وعقيدة السلف، للصابوني، ص ٦٧.

وعليه أيضاً تناول الموضوعات التي تحقق زيادة الإيمان وبيانها للناس، وتحذيرهم مما يؤدي إلى نقصان الإيمان وضعفه.

وأما تفصيل أركان الإيمان الستة: فيمكن إيضاحه من خلال ما يأتي:

* الركن الأول: الإيمان بالله:

والإيمان بالله وهو إفراده تعالى في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته[1].

وسبق أن بين هذا بالتفصيل في المبحث السابق.

* الركن الثاني: الإيمان بالملائكة:

الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة التي لا يصح إيمان عبد ولا يقبل إلا بتحقيقه.

والملائكة لغة: جمع ملك، وهو مشتق من الألوكة والملكة، وهي الرسالة.[2].

وقد بين سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ معنى الإيمان بالملائكة فقال: "وأما الإيمان بالملائكة فيتضمن الإيمان بهم إجمالاً وتفصيلاً: فيؤمن المسلم بأنّ لله ملائكة خلقهم لطاعته ووصفهم بأنهم عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

---

(١) انظر مثلاً: مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٧)، (ص ١٤٠).

(٢) لسان العرب لابن منظور، ٣٩٢/ ١٠.

وهم أصناف كثيرة منهم الموكلون بحمل العرش، ومنهم خزنة الجنة والنار، ومنهم الموكولون بحفظ أعمال العباد.

ونؤمن على سبيل التفصيل بمن سمى الله ورسوله منهم كجبريل وميكائيل ومالك خازن النار، وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور، وقد جاء ذكره في أحاديث صحيحة، وقد ثبت في الصحيح أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ**[١]»[٢].

فيتضح من كلام سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ أن الإيمان بالملائكة يتضمن ما يأتي:

أولاً: الإيمان بهم إجمالاً.

ويشمل:

أ- الإيمان بوجودهم، وأنهم خلق من خلق الله خلقهم لطاعته، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ بعد أن ساق الأدلة على وجودهم كقوله تعالى:

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ [القدر: ٤].

"ولا تخلو سورة من سور القرآن عن ذكر الملائكة تصريحاً أو تلويحاً أو إشارة "[٣].

ب- الإيمان بأنهم عباد مكرمون لا يسبقونه سبحانه بالقول وهم بأمره يعملون، ولا يقدرون إلا على ما أقدرهم عليه، وأنه سبحانه أكرمهم ورفع

---

(١) أخرجه مسلم، برقم ٢٩٩٦.
(٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٧)، (ص ١٤٥).
(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن القيم، ٢/ ١٣١.

مقامهم عنده وفضل بعضهم على بعض، وهم مع هذا لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم شيئاً من دون الله، وبما أنهم كانوا كذلك فلا يجوز أن يصرف لهم شيء من أنواع العبادة، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًاۗ سُبْحَٰنَهُۥۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[الأنبياء: ٢٦ - ٢٩].

ج- والإيمان بأنهم أصناف كثيرة منهم الموكولون بحمل العرش ومنهم خزنة الجنة والنار، ومنهم الموكولون بحفظ أعمال العباد.

والموكولون يحمل العرش: هم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ﴾[غافر: ٧].

فذكر الله تعالى حملة العرش في هذه الآية، ووصفهم بالتسبيح بحمده والدعاء لمن في الأرض. وقد أطلق العدد ولم يحدده، وذكر عددهم في آية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَاۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾[الحاقة: ١٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فدلت الآية على أن لله ملائكة من جملة خلقه يحملون عرشه، وآخرون يكونون حوله، وعلى أنه يوم القيامة يحمله ثمانية: إما ثمانية أملاك وإما ثمانية أصناف وصفوف"(١).

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية، ١/ ٥٧٦.

وأما خزنة الجنة منهم الذين ذكرهم الله - سبحانه - بقوله: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾[الزمر: ٧٣].

فهم يتلقون المؤمنين بالتحية الأولى التي حيوا بها أباهم آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهي السلام كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾[الرعد: ٢٢ - ٢٤].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: "وتدخل الملائكة عليهم من هاهنا ومن هاهنا بالتهنئة بدخول الجنة، فعند دخولهم إياها تَفِد عليهم الملائكة مسلمين مهنئين لهم بما حصل لهم من الله من التقريب والإنعام والإقامة في دار السلام في جوار الصادقين والأنبياء والرسل الكرام "(١).

وأما خزنة النار: فإن الله ذكرهم في القرآن كثيراً، من ذلك: قوله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴾[المدثر: ٢٦ - ٣٠].

فهؤلاء التسعة عشر هم خزنة جهنم العظام، ومعهم من الملائكة خلق لا يحصيهم إلا الله، ولذلك عقب بقوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ ﴾[المدثر: ٣١].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٢/ ٥١٠.

وأعظم هؤلاء الخزنة مالك الذي قال الله تعالى عنه: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾[الزخرف: ٧٧].

وقد وصف الله خزنة النار بصفات عظيمة تملأ النفوس خوفاً ومهابة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[التحريم: ٦].

وأما الموكولون بحفظ أعمال العباد: فهم الذين قال الله فيهم: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[ق: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا ۚ قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾[يونس: ٢١]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾[الانفطار: ١٠ - ١٢].

قال الإمام الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ: "ونؤمن بالكرام الكاتبين فإن الله قد جعلهم علينا حافظين "[1].

ثانياً: الإيمان بالملائكة على سبيل التفصيل:

فنؤمن بمن سمى الله ورسوله منهم كجبريل وميكائيل ومالك خازن النار وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور.

- فجبريل: هو أشهر الملائكة، وهو الموكل بالوحي وغير ذلك من الأعمال، وورد ذكره في القرآن في عدة مواضع منها قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[البقرة: ٩٧]، وقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ

(١) العقيدة الطحاوية، ص ٤٤٠.

صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قد أثنى الله سبحانه على عبده جبريل في القرآن أحسن الثناء، ووصفه بأجمل الصفات، فقال: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ [التكوير: ١٤ - ٢٠].

فهذا جبريل، فوصفه بأنه رسوله، وأنه كريم عنده، وأنه ذو قوة ومكانة عند ربه سبحانه، وأنه مطاع في السموات وأنه أمين على الوحي "[1].

- وأما ميكائيل: فهو الموكل بالقطر والنبات[2]، وقد جاء ذكره في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]. وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي قَالَا: الَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ وَأَنَا جِبْرِيلُ وَهَذَا مِيكَائِيلُ**»[3].

- وأما مالك خازن النار فهو الذي قال الله تعالى عنه: ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

- وأما إسرافيل: فلم يرد اسمه في القرآن، وإنما ورد في السنة في أحاديث صحيحة، منها: حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَانَ إِذَا قَامَ**

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن القيم، ٢/ ١٢٧.

(٢) البداية والنهاية، لابن كثير، ١/ ٤١.

(٣) أخرجه البخاري، برقم ٣٢٣٦.

مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: اللَّهُمَّ رَبَّ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ. اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».(١).

ثالثاً: أهم الدعائم التي تحقق للداعي إلى الله حسن الدعوة إلى الإيمان بالملائكة:

١- أن يدرك الداعية إلى الله بأن عليه مسؤولية كبيرة جداً وهي دعوة الناس إلى الإيمان بالملائكة، وأنه كلما ازداد الإنسان علماً بتفاصيل هذه الأمور ازداد إيماناً، كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ﴾ [المدثر: ٣١].

٢- أن يبين الداعية إلى الله للناس بأن العلم بهذه المخلوقات العظيمة وهي ملائكة الرحمن عَلَيْهِمُ السَّلَامُ والتدبر في صفاتهم التي أخبرنا الله بها في القرآن وثبتت في السنة، يجعل القلب مضطراً إلى تعظيم خالقه وهيبته وخوفه ورجائه، فإن خالق هذه المخلوقات العظيمة عظيم ولا شك، فاستحق أن يعبد وحده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن يتقى، وأن يُذكر فلا ينسى، ويطاع فلا يعصى، كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الحج: ٧٤ - ٧٦].

---

(١) أخرجه مسلم، برقم ٧٧٠.

٣- أن يبين الداعية إلى الله للناس الواجب عليهم تجاه الملائكة وعدم مجاوزته والغلو فيه، فينزلون الملائكة منازلهم التي أنزلهم الله إياها، وأنهم مع عظمة خلقهم لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم شيئا من دون الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو وحده النافع الضار الذي بيده ملكوت السماوات والأرض ومن فيهن، فلا يجوز صرف نوع من أنواع العبادة لهم لأن ذلك شرك بالله تعالى.

21-01-26

الركن الثالث: الإيمان بالكتب:

الإيمان بالكتب هو الركن الثالث من أركان الإيمان، ولا يصح إيمان أحد إلا إذا آمن بالكتب التي أنزلها الله على رسله عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

والكتب في اللغة: جمع كتاب بمعنى مكتوب، ومادة (كتب) تدور حول الجمع والضم، ولذلك سمي الكاتب كاتباً؛ لأنه يجمع الحروف ويضم بعضها إلى بعض.[1].

والمراد بالكتب هنا: هي التي أنزلها الله - تعالى - على رسله، رحمة للخلق، وهداية لهم، ليصلوا بها إلى سعادة الدنيا والآخرة.

أولاً: مفهوم الإيمان بالكتب:

ومعنى الإيمان بالكتب وما يتضمنه، قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعد أن تحدث عن الإيمان بالملائكة: "وهكذا الإيمان بالكتب يجب الإيمان إجمالاً بأن الله سبحانه أنزل كتباً على أنبيائه ورسله؛ لبيان حقه والدعوة إليه،

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ص ٨٨٥.

كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾[الحديد: ٢٥]، وقال تعالى:

﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[البقرة: ٢١٣].

ونؤمن على سبيل التفصيل بما سمى الله منها: كالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن، والقرآن هو أفضلها وخاتمها، وهو المهيمن عليها والمصدق لها، وهو الذي يجب على جميع الأمة اتباعه وتحكيمه مع ما صحت به السنة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الله سبحانه بعث رسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رسولاً إلى جميع الثقلين، وأنزل عليه هذا القرآن ليحكم به بينهم، وجعله شفاء لما في الصدور وتبياناً لكل شيء وهدى ورحمة للمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل: ٨٩] والآيات في هذا المعنى كثيرة "[١].

ويتبين من كلام سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ أن الإيمان بالكتب يتضمن الجوانب التالية:

١- الإيمان إجمالاً بأن الله سبحانه أنزل كتباً على أنبيائه ورسله لبيان حقه والدعوة إليه ليقوم الناس بالحق والعدل بدليل قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾[البقرة: ٢٨٥].

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٧)، (ص ١٤٦).

وكما أمرنا الله بقوله: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وكما قال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾ [الحديد: ٢٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾ [الحديد: ٢٥] أي: بالمعجزات، والحجج الباهرات، والدلائل القاطعات. ﴿وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الحديد: ٢٥] وهو النقل المصدق. ﴿وَٱلۡمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥] وهو العدل، وهو الحق الذي تشهد به العقول، ولهذا قال في هذه الآية ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [الحديد: ٢٥] أي: بالحق والعدل، وهو اتباع الرسل فيما أخبروا به وطاعتهم فيما أمروا به؛ فإن الذي جاءوا به هو الحق الذي ليس وراءه حق"[(١)].

٢- الإيمان على سبيل التفصيل بما سمى الله منها: كالتوراة والإنجيل والزبور والقرآن.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ ﴾ [آل عمران: ٢ - ٤]، وقال الله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴾ [النساء: ١٦٣]، وقال الله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

٣- الإيمان بأن القرآن العظيم المنزل على خاتم النبيين هو آخر كتاب نزل من عند الله، وأنه ناسخ لما سبقه من الكتب، وأنه حاكم عليها، وأنه الذي

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٤/ ٢٨٢٨.

يجب اتباعه بتصديق أخباره، وإحلال حلاله، وتحريم حرامه، والعمل بأوامره، واجتناب نواهيه، كما قال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [التغابن: ٨]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ﴾ [المائدة: ٤٨].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿بِٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٤٨] أي: بالصدق الذي لا ريب فيه أنه من عند الله ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [المائدة: ٤٨] أي: من الكتب المتقدمة المتضمنة ذكره ومدحه، وأنه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فكان نزوله كما أخبرت به... ﴿وَمُهَيْمِنًا﴾ [المائدة: ٤٨] أي: أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله، جعل الله هذا الكتاب العظيم الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها وأشملها وأعظمها وأكملها؛ حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلهذا جعله شاهداً وأميناً وحاكماً عليها كلها، وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]"[(١)].

ثانياً: أهم الدعائم التي تحقق للداعي إلى الله حسن الدعوة إلى الإيمان بالكتب:

١- على الداعي إلى الله أن يبين للناس معنى الإيمان بالكتب، وأنه إجمالي وتفصيلي كما تقدم.

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٢/ ٩٦٨.

٢- أن يدرك الداعية إلى الله أن الكتب السماوية اتفقت على وجوب عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه، كما اتفقت أيضاً على قواعد التشريع العامة، واختلفت في تفاصيل الشرائع. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: "فالدين واحد، وإنما تنوعت شرائعهم ومناهجهم، كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] فالرسل متفقون في الدين الجامع للأصول الاعتقادية والعملية: فالاعتقادية كالإيمان بالله وبرسوله وباليوم الآخر. والعملية: كالأعمال العامة المذكورة في الأنعام والأعراف وسورة بني إسرائيل كقوله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى آخر الآيات الثلاثة، وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] إلى آخر الوصايا، وقوله: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩] وقوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فهذه الأمور هي من الدين الذي اتفقت عليه الشرائع "(١).

٣- أن يبين للناس أن القرآن الكريم ناسخ الجميع الكتب السماوية قبله كالتوراة والإنجيل، فلا يجوز النظر فيها طلباً للهدى، ويجب الاستغناء به عنها، ولذلك غضب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين رأى مع عمر بن الخطاب قطعة من التوراة ينظر فيها وقال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، وَلَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»(٢).

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ١٥/ ١٥٩.

(٢) أخرجه الإمام أحمد، ٣٨٧/ ٣. والبيهقي في شعب الإيمان (٢٠٠١) وصححه، وابن أبي =

الركن الرابع: الإيمان بالرسل:

لما كان العقل البشري لا يتمكن من عبادة الله تعالى - على الوجه الذي يرضاه ويحبه وكذلك لا يستطيع التنظيم والتشريع المناسب للأمة على اختلاف طبقاتها؛ إذ لا يحيط بذلك إلا الله وحده؛ كان من حكمة الله ورحمته أن أرسل الرسل لإصلاح الخلق وإقامة الحجة عليهم كما قال تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾ [النساء: ١٦٥].

جاء في فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء - حول حاجة الإنسان إلى الرسل، ولماذا يكونون من البشر - ما نصه: "بل في أشد الضرورة إليهم؛ لأن عقول الناس مختلفة أعظم اختلاف، ولا تستطيع أن تستقل بمعرفة ما يرضي الله - سبحانه أو يسخطه من الأقوال والأعمال والعقائد ومن أجل ذلك أرسل الله رسله من نوح عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ - إلى أن ختموا بنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي بعثه الله بدين شامل كامل باقي عام للبشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.... أما إرسالهم من البشر: فلأن ذلك أكمل في إقامة الحجة؛ لكونهم من جنسهم يستطيعون التفاهم معهم، وسؤالهم عما يهمهم، ويتمكنون من فهم كلامهم لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ۝٩٤ قُل لَّوۡ كَانَ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَلَٰٓئِكَةٞ يَمۡشُونَ مُطۡمَئِنِّينَ لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا ﴾[الإسراء: ٩٤ - ٩٥].

= عاصم في كتاب السنة برقم (٥٠)، قال الهيثمي: فيه مجالد بن سعيد ضعفه أحمد ويحيى بن سعيد وغيرهما. (مجمع الزوائد، ١/١٧٤)، وحسنه الشيخ الألباني في كتاب السنة برقم (٥٠).

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٤][١].

ومن هنا فيجب الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام ويتضمن ذلك ما يأتي:

أولاً: الإيمان بجميع الرسل إجمالاً، وأنهم رسل الله حقاً فمن كفر برسالة واحدة منهم؛ فقد كفر بالجميع. قال سماحة الشيخ: عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ -: "وهكذا الرسل يجب الإيمان بهم إجمالاً وتفصيلاً "ثم بين الإيمان الإجمالي: "فنؤمن أن الله – سبحانه – أرسل إلى عباده رسلاً منهم مبشرين ومنذرين ودعاة إلى الحق "[٢].

وجاء في فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: "يجب الإيمان برسالة كل من ثبتت رسالته بالقرآن أو السنة الصحيحة فمن آمن ببعضهم وكفر ببعض فقد كفر، لقوله -تعالى-: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ

---

(١) فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية رقم (٧٢٨٩)، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٤٢)، ص ١٠٠.

(٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٧)، ص ١٤٦.

وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١٥٠ - ١٥٢].

ثانياً: الإيمان تفصيلاً بمن سماهم الله في القرآن أو سماهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في السنة الصحيحة، وبما صح من أخبارهم، كنوح وهود وصالح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام. فقد بين ذلك سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ عند إيضاحه معنى الإيمان بالرسل فقال: "ومن سمى الله منهم أو ثبت عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تسميته آمنَّا به على سبيل التفصيل والتعيين كنوح وهود وصالح وإبراهيم وغيرهم صلى الله وسلم وعلى آلهم وأتباعهم"[١].

ثالثاً: الإيمان إجمالاً وتفصيلاً بما جاء به نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الكتاب والحكمة وأنه رسول الله إلى الناس كافة، وأنه خاتم النبيين وأفضلهم، وأن شريعته ناسخة لجميع الشرائع قبله، ولا طريق إلى الله وإلى جنته إلا باتباعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

جاء في فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ما نصه: "وأفضل الرسل على الإطلاق خاتم النبيين محمد عليهم الصلاة والسلام - لحديث: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ**»[٢]. وحديث: «**أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا**».[٣].

---

(١) المرجع السابق، العدد (٧)، (ص ١٤٧).

(٢) أخرجه مسلم، برقم ٢٢٧٨.

(٣) أخرجه مسلم، برقم ١٩٦.

وأحاديث اختصاصه بالشفاعة العظمى وإقدامه عليها بعد اعتذار الأنبياء عنها، وإنقاذ الناس من هول الموقف بشفاعته لهم[١]. وغير ذلك من الأحاديث التي وردت في تفضيله، وإجماع الأمة على ذلك"[٢].

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله آل الشيخ عند بيانه حقوق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وأن رسالته عامة للبشر عربهم وعجمهم، يقول الله سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف: ١٥٨] ويقول عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾[سبأ: ٢٨] ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً»[٣].

ويقول أيضاً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ»[٤].

بل رسالته تعم الجن أيضاً: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾

---

(١) منها حديث أنس: «يجمع الله المؤمنين يوم القيامة لذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا يريحنا.... إلى أن قال: «فيأتوني فأنطلق فأستأذن ربي فيؤذن لي» أخرجه البخاري، برقم ٧٤١٠.

(٢) فتوى رقم (١٠٠٠) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٤٢)، ص ١٠٣.

(٣) أخرجه البخاري، برقم ٣٣٥.

(٤) أخرجه مسلم، برقم ١٥٣.

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩ - ٣٢]"(١).

رابعاً: أهم الدعائم التي تحقق للداعي إلى الله حسن الدعوة إلى الإيمان بالرسل:

١- على الداعية إلى الله أن يجعل الأنبياء والرسل قدوته المثلى وأسوته الحسنى؛ فيسير على سبيلهم وينتهج نهجهم في الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، فقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ [الأنعام: ٩٠]يعني الأنبياء المذكورين مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والإخوان وهم الأشباه ﴿ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٠] أي: هم أهل الهدى لا غيرهم ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] أي اقتد واتبع، وإذا كان هذا أمراً للرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فأمته تبع له فيما يشرعه ويأمرهم به"(٢).

٢- أن يهتم الداعية إلى الله بالتأمل في سير الأنبياء -صلوات ربي وسلامه عليهم- وقصصهم، وينتفع بالدروس والعبر المستفادة من دعوتهم لأقوامهم.

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٦٠)، ص ١٦.
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٢/ ١٤٨.

٣- أن يحث الناس على الاقتداء بأنبياء الله ورسله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحثهم على قراءة قصصهم من الكتب الموثوقة في ذلك.(١). وتحذيرهم من خطورة قراءة القصص المكذوبة والمخترعة.

٤- أن يدرك الداعية إلى الله أن الأنبياء والرسل يتفاضلون كما قال تعالى: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وأفضلهم نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن هذا لا ينافي ما جاء في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من النهي عن التفضيل بين الأنبياء مثل قوله: «**لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ**»(٢). فإن هذا النهي محمول على ما إذا كان التفضيل على وجه الحمية والعصبية أو على وجه التنقص للمفضول؛ ويؤيد ذلك سبب هذا الحديث، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال:

«بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْرِضُ سِلْعَةً لَهُ أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا كَرِهَهُ أَوْ لَمْ يَرْضَهُ - شَكَّ عَبْدُ الْعَزِيزِ - قَالَ: لَا وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ. قَالَ: فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، قَالَ: تَقُولُ وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ قَالَ: فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا. وَقَالَ: فُلَانٌ لَطَمَ وَجْهِي! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟ قَالَ: قَالَ يَا رَسُولَ اللهِ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ، وَأَنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا! قَالَ: فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى عُرِفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: **لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ**».

(١) ومن ذلك مثلاً: قصص الأنبياء وتفسير القرآن العظيم، كلاهما لابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) أخرجه البخاري، برقم ٣٢٣٣. ومسلم، برقم ٢٣٧٣.

٥- أن يدرك الداعية إلى الله الثمار العظيمة للإيمان بالرسل: كشكر الله - تعالى على عنايته بعباده، حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله بعبادته وحده وترك عبادة من سواه، ويدلونهم إلى الطريقة المستقيمة في هذه الحياة؛ لأن العقل البشري لا يستقل بمعرفة ذلك.

وكذلك اليقين بحسن عاقبة المتقين المطيعين الله والصابرين، كما تبين ذلك من حال الأنبياء والرسل مع أقوامهم وانتصارهم على أعدائهم.

الركن الخامس: الإيمان باليوم الآخر:

لقد بينت الأدلة من الكتاب والسنة وجوب الإيمان باليوم الآخر، وأنه الركن الخامس من أركان الإيمان العظيمة، وما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر، وإيضاح ذلك كما يأتي:

أولاً: وجوب الإيمان باليوم الآخر، وقد دلت على ذلك كثير من الأدلة، منها: قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وما جاء في حديث جبريل أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**»(١).

ثانياً: اهتمام الشارع بالإيمان باليوم الآخر، ويتضح ذلك من خلال ما يأتي(٢):

---

(١) أخرجه البخاري، برقم ١٥٠. ومسلم، برقم ٨.

(٢) انظر: بحث علمي بعنوان "الإيمان باليوم الآخر أدلته وأثره في حياة الإنسان"، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٣١١٣٦)، (ص).

أ- أن الله قد ربط بين الإيمان به تعالى وبين الإيمان باليوم الآخر في آيات كثيرة، كما في آية البقرة السالفة الذكر، وفي قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ١٢٦].

ب- ذكر الله - تعالى - اليوم الآخر بأسماء مختلفة تصف في كثير من الأحيان ما يقع فيه من أحداث وما يصيب الناس من أهوال، فهو يوم البعث، ويوم القيامة، ويوم الدين، ويوم الحساب، ويوم الفتح، ويوم التلاق، ويوم الجمع، ويوم التغابن، ويوم الخلود، ويوم الخروج، ويوم الحسرة، ويوم التناد، ويسمى ذلك اليوم أيضاً بالأزفة والساعة والطامة، والصاخة والحاقة، والغاشية، والواقعة. ولا تكاد تخلو سورة من سور القرآن من الإشارة إلى هذا اليوم: إما بوصفه وتصوير ما يقع فيه كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَـٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَـٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَـٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَـٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَـٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَـٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَـٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة: ١٣ - ٣٧].

وإما بتقريره كحقيقة لا ينبغي الشك فيها وأنه آت لا ريب فيه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: ٦ - ٧] ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

ج-بين الله تعالى أن عقيدة الإيمان باليوم الآخر من العقائد التي جاءت بها الرسالات الإلهية جميعاً، فنوح خاطب قومه كما ورد في القرآن: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ [نوح: ١٧ - ١٨] وإبراهيم يدعو ربه قائلاً: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢]، وموسى خاطبه ربه سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ﴾ [طه: ١٥ - ١٦].

ثالثاً: ما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر:

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأما الإيمان باليوم الآخر فيدخل فيه الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله مما يكون بعد الموت كفتنة القبر وعذابه ونعيمه، وما يكون يوم القيامة من الأهوال والشدائد والصراط والميزان والحساب والجزاء ونشر الصحف بين الناس، فآخذٌ كتابه بيمينه وآخذٌ كتابه بشماله أو من وراء ظهره. ويدخل في ذلك أيضاً الإيمان بالحوض المورود لنبينا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والإيمان بالجنة والنار، ورؤية المؤمنين لربهم سبحانه وتكليمه إياهم، وغير ذلك مما جاء في القرآن الكريم والسنة الصحيحة عن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيجب الإيمان بذلك كله وتصديقه على الوجه الذي بينه الله ورسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ."[1].

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٧)، (ص ١٤٧).

ويتبين من هذا أن الإيمان باليوم الآخر يتضمن ما يأتي:

أ- الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله مما يكون بعد الموت كفتنة القبر وعذابه ونعيمه.

وهذا ثابت بأدلة الكتاب والسنة، قال الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي الْقَبْرِ: يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ. فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾** [إبراهيم: ٢٧]»[١].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْعَبْدُ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتُوُلِّيَ وَذَهَبَ أَصْحَابُهُ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَأَقْعَدَاهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**؟ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، فَيُقَالُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ، أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ. قَالَ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا، وَأَمَّا الْكَافِرُ، أَوِ الْمُنَافِقُ، فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ، فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ، ثُمَّ يُضْرَبُ بِمِطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ**»[٢].

---

(١) أخرجه البخاري، برقم ٤٦٩٩.

(٢) أخرجه البخاري، برقم ١٣٣٨.

ب- الإيمان بكل ما أخبر الله به ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يكون يوم القيامة من أمور كثيرة من الأهوال والشدائد والصراط والميزان والحساب والجزاء ونشر الصحف بين الناس والإيمان بالحوض المورود والجنة والنار ورؤية المؤمنين لربهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وتكليمه إياهم.

فالأهوال والشدائد كالنفخ في الصور والبعث كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

والصراط: هو الجسر الممدود على جهنم، ليعبر الناس عليه إلى الجنة.[١].

ومما يدل عليه قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ثُمَّ يُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ... فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَمَخْدُوشٌ[٢] مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوسٌ[٣] فِي نَارِ جَهَنَّمَ»**[٤].

وأما الميزان فهو ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد.[٥].

ومن الأدلة عليه قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

---

(١) لوامع الأنوار البهية، للسفاريني، ٢/ ١٨٩.

(٢) مخدوش: أي: مقشور الجلد النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ص ٢٥٥.

(٣) مكدوس: أي: مدفوع المرجع السابق، ص ٧٨١.

(٤) أخرجه مسلم، برقم ١٨٣.

(٥) لمعة الاعتقاد، للمقدسي، ص ١٢٠.

وأما الحساب والجزاء: فهو إطلاع الله عباده على أعمالهم يوم القيامة، وإنباؤهم بما قدموه من خير وشر، وإثابتهم على ذلك أو معاقبتهم.[(١)]

ومن الأدلة عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٥ - ٢٦]، ولقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلَا تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ، ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ، فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمُ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»[(٢)].

وأما نشر الصحف بين الناس فآخذٌ كتابه بيمينه وآخذٌ كتابه بشماله أو من وراء ظهره: فمن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ١٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٥ - ٢٦].

والحوض الماء النازل من الكوثر في عرصات القيامة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن الأدلة على ذلك: قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَلَأُنَازَعَنَّ أَقْوَامًا ثُمَّ لَأُغْلَبَنَّ عَلَيْهِمْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أَصْحَابِي أَصْحَابِي! فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»[(٣)].

---

(١) لمعة الاعتقاد، للمقدسي، ص ١١٧.

(٢) أخرجه البخاري، برقم ١٤١٣.

(٣) أخرجه البخاري، برقم ٦٥٧٥. ومسلم، برقم ٢٢٩٧ واللفظ له.

وعن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله، ما آنية الحوض؟ قال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ آنِيَةُ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ**»(١).

وأما الجنة والنار: فهما موجودتان الآن لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، فأما الدليل على وجودهما، فقوله تعالى في الجنة: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٣] وقوله في النار: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ**﴾ [البقرة: ٢٤].

وهما المصير الأبدي للعباد، فالجنة دار النعيم التي أعدها الله للمؤمنين المتقين؛ قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ**﴾ [البينة: ٧ - ٨].

والنار: دار العذاب التي أعدها الله تعالى للكافرين الظالمين، فيها أنواع النكال والعذاب؛ قال تعالى: ﴿**وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا**﴾ [الكهف: ٢٩].

وأما رؤية المؤمنين لربهم: فيدل عليها قوله تعالى: ﴿**وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ**﴾ [القيامة: ٢١ - ٢٣].

---

(١) أخرجه مسلم، برقم ٢٣٠٠.

ومن السنة: قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ[١] فِي رُؤْيَتِهِ»[٢].

وأما تكليمه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ للمؤمنين: فيدل عليه قول النبي: «لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلَا تَرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى، فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ، ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ، فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمُ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»[٣].

وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟... "[٤].

رابعاً: أهم الدعائم التي تحقق للداعي إلى الله حسن الدعوة إلى الإيمان باليوم الآخر:

١- على الداعي إلى الله دعوة الناس للإيمان بهذا اليوم العظيم والاستدلال على ذلك بأدلة الكتاب والسنة.

٢- أن يتناول الداعي إلى الله الحديث عن ما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر كما تقدم ويفصل القول في ذلك.

---

(١) قال ابن الأثير: "يروى بالتشديد والتخفيف، فالتشديد معناه: لا ينضم بعضهم إلى بعض، وتزدحمون وقت النظر إليه، ويجوز ضيم في رؤيته فيراد بعضكم دون بعض، والضيم الظلم. النهاية في غريب الحديث والأثر، ص ٥٤٢.

(٢) أخرجه البخاري، برقم ٥٥٤. ومسلم، برقم ٦٣٣.

(٣) أخرجه البخاري، برقم ١٤١٣.

(٤) أخرجه البخاري، برقم ٧٥١٨.

٣- أن يكثر الداعي إلى الله من بيان الفوائد والثمار العظيمة للإيمان باليوم الآخر والتي منها ما يأتي:

أ- الاستقامة والصلاح.

فالإيمان باليوم الآخر يبعث على استقامة القلوب والنفوس والجوارح بطاعة الله تعالى وعبادته، وصلاح الأقوال والأفعال وانضباط السلوك، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُواْ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾ [الطلاق: ٢].

ويعني أن الإيمان بالله تعالى واليوم الآخر يوجب لصاحبه أن يتعظ بمواعظ الله، وأن يقدم لآخرته من الأعمال الصالحة ما يتمكن منها.[١].

ب- تحقيق كمال الرغبة والرهبة:

فللإيمان باليوم الآخر أثرٌ كبيرٌ في حض المؤمن وحثه على فعل الطاعات التي تتضمن الرغبة في فعل أوامر الله تعالى، والرهبة في الانكفاف عن المعاصي ومساخط الرب، كما قال تعالى: ﴿ ۞ لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ [آل عمران: ١١٣ - ١١٤].

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لابن سعدي، ص (١٤٨١.

وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧ - ٨].

فهذه الآيات وأمثالها تحقق للمؤمن بالآخرة "الرغبة في فعل الطاعات والحرص عليها، رجاء لثواب ذلك اليوم؛ والرهبة من فعل المعصية والرضى بناء خوفاً من عقاب ذلك اليوم "[1].

ج- الأمن والطمأنينة:

وهذه من أعظم الآثار التي يجدها المسلم في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى مبشراً المؤمنين بذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [المائدة: ٦٩].

فهم آمنون مطمئنون فلا خوف عليهم من أهوال يوم القيامة، ولا هم يحزنون على ما تركوه وراءهم في الدنيا بعد تحقيق هذا الإيمان.[2].

د-عظم الأجر في الدنيا والآخرة:

إن المؤمن باليوم الآخر والموقن بجميع ما ورد فيه من أمور وأحوال يجني أعظم ثمرة في ايمانه، وهي وعد الله تعالى إياه بالأجر والثواب الجزيل كما قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُو۟لَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ١٦٢] يعني: الجنة "[3].

---

(١) شرح أصول الإيمان، لابن عثيمين، ص ٤٢.

(٢) جامع البيان، للطبري، ٤/ ٤١٩.

(٣) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ٥٨٥.

٤- أن يدرك الداعي إلى الله أن من أصناف المدعوين من ينكر الإيمان باليوم الآخر، فلابد له من التزود من العلم ومعرفة أساليب القرآن العظيمة في الدعوة للإيمان باليوم الآخر والرد على من ينكره، ومن تلك الأساليب ما يأتي:

أ- تذكيرهم بالنشأة الأولى:

كما قال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ [الحج: ٥ - ٧].

فمن قدر على خلق الإنسان في أطوار متعددة لا يعجز عن إعادته مرة أخرى؛ بل إن الإعادة أهون من البدع في حكم العقل؛ كما قال تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس: ٧٨ - ٧٩].

ب- قدرة الله تعالى على خلق ما هو أعظم من خلق الإنسان وإعادته.

كما قال تعالى: ﴿ أَوَلَيۡسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخۡلُقَ مِثۡلَهُمۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلۡخَلَّٰقُ ٱلۡعَلِيمُ ٨١ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [يس: ٨١ - ٨٢].

ج-إحياء بعض الموتى في الحياة الدنيا:

ومن ذلك ما ذكره القرآن عن بني إسرائيل الذين سألوا الله الرؤية وجعلوها شرطاً لإيمانهم فأهلكهم بالصاعقة ثم بعثهم: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥ - ٥٦].

وكذلك قصة القوم الذين فروا من الطاعون و نزلوا وادياً حماية لأنفسهم من الموت فأماتهم الله ثم أحياهم، وكان في إحيائهم كما يقول ابن كثير[١]- دليل قاطع على وقوع المعاد الجسماني في يوم القيامة: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

د- المشاهد الكونية المحسوسة الدالة على إمكان اليوم الآخر وبعث الناس:

كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: ٥ - ٧].

02-04-26

الركن السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره:

الإيمان بالقدر خيره وشره هو الركن السادس من أركان الإيمان. ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن به.

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ٩٣.

أولاً: بيان معنى (القدر)

القدر في اللغة: القاف والدال والراء: أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، فالقدر: مبلغ كل شيء، يقال: (قدره كذا) أي: مبلغه، وكذلك القدر: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها، وهو القدر أيضاً.[١]

وأما في الشرع:

فجاء تعريفه في بحث علمي[٢] نقلاً عن الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ بأنه: "تقدير الله تعالى للكائنات، حسب ما سبق به علمه واقتضت حكمته"[٣].

وهذا التعريف موافق لما عليه أهل السنة والجماعة، قال الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر، ومعناه: أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قدر الأشياء في القدم وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعلى صفات مخصوصة فهي تقع على حسب ما قدرها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ"[٤].

ثانياً: ذكر الأدلة من القرآن والسنة على وجوب الإيمان بالقدر وعظم أهميته:

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ص ٨٤٦.

(٢) بحث علمي بعنوان (أقسام الناس في الإيمان بالقضاء والقدر)، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٧٩)، ص١١٨.

(٣) شرح ثلاثة الأصول، للعلامة محمد بن صالح العثيمين، ص ١٠٩.

(٤) شرح صحيح مسلم للنووي، ١/ ١٥٤، وللاستزادة انظر: أصول السنة، للإمام أحمد، ص ١٧. وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، ص ١٦٥.

أ- فمن القرآن: قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢].

وقال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

قال العلامة ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "أي: كل شيء مما سواه مخلوق مربوب، وهو خالق كل شيء وربه ومليكه وإلهه، وكل شيء تحت قهره وتدبيره وتسخيره وتقديره"(١).

ب-ومن السنة النبوية: حديث جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وفيه: «**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**»(٢).

وحديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجِزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ**»(٣).

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**»(٤).

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣/ ٢٩٠.
(٢) أخرجه البخاري، برقم ١٥٠. ومسلم، برقم ٨.
(٣) أخرجه مسلم، برقم ٢٦٦٤.
(٤) أخرجه مسلم، برقم ٢٦٥٣.

قال الإمام النووي في سياقه لهذه الأحاديث وغيرها: "وفي هذه الأحاديث كلها دلالات ظاهرة لمذهب أهل السنة في إثبات القدر، وأن جميع الواقعات بقضاء الله وقدره خيرها وشرها ونفعها وضرها "[1]. وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومذهب السلف قاطبة أن الأمور كلها بتقدير الله[2]"[3].

ثالثاً: بيان ما يتضمنه الإيمان بالقدر:

الإيمان بالقدر لا يقوم ولا يتم إلا بالإيمان بأربع مراتب، وهي: الإيمان بعلم الله عَزَّوَجَلَّ السابق بكل شيء، والإيمان بكتابة المقادير، والإيمان بمشيئته إياها، والإيمان بخلقه إياها. قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ مفصلاً هذه المراتب: "وأما الإيمان بالقدر فيتضمن الإيمان بأمور أربعة:

أولها: أن الله سبحانه قد علم ما كان وما يكون، وعلم أحوال عباده، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وغير ذلك من شؤونهم، لا يخفى عليه من ذلك شيء، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٥] وقال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

الأمر الثاني: كتابته سبحانه لكل ما قدره وقضاه كما قال سبحانه: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ﴾ [ق: ٤] وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

---

(١) شرح صحيح مسلم، للنووي، ١٦/١٩٥.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر، ١١/٤٧٨.

(٣) للاستزادة انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٤)، (ص ٣٧٩ وما بعدها)، والعدد (٧٦) (ص ١٨٥ وما بعدها)، والعدد (٧٩)، (ص ١٢١ وما بعدها).

* الأمر الثالث: الإيمان بمشيئته النافذة فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن كما قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩﴾ [الحج: ١٨] وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

* الأمر الرابع: خلقه سبحانه - لجميع الموجودات لا خالق غيره ولا رب سواه، كما قال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

رابعاً: أهم الدعائم التي تحقق للداعي إلى الله حسن الدعوة للإيمان بالقدر خيره وشره.

١ - أن يعرف الداعي إلى الله معنى القدر، وما يتضمنه الإيمان به والأدلة التي بينت ذلك من الكتاب والسنة، وبنها بين الناس.

ثانياً: أن يحذر الداعية إلى الله من المذاهب المخالفة لأهل السنة والجماعة في باب القدر ويحذر منها، ويتزود بالعلم الشرعي للرد على ضلالاتهم، خصوصاً وأنهم نوع من أنواع المدعوين، وقد يلتقي بهم أو يعيش بينهم، فيكون على دراية وتأهب لهم، ولعل أشهر تلك المذاهب ما يأتي:

- القدرية: وهم نفاة القدر الذين زعموا أن الناس هم الذين يقدرون أكسابهم وأنه ليس الله له في أكسابهم وفي أعمال سائر الحيوانات صنع ولا تقدير، ولأجل هذا القول سماهم المسلمون القدرية.[1]

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٧)، (ص ١٤٧). وانظر: العدد (٤٤)، (ص ٣٧٩ وما بعدها)، والعدد (٧٦)، (ص ١٩٥ وما بعدها). وانظر تفصيل ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ لها في شفاء العليل، (١/٩١).

والرد عليهم بأدلة عديدة منها ما يأتي:

أ- قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦] فأخبر الله أنه خلقهم وأعمالهم.

ب- قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الزمر: ٦٢] فدخلت أعمال العباد في عموم (كل)[١].

ج- قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ [النحل: ٨١].

فأخبر الله تعالى أنه هو الذي جعل السرابيل (وهي الدروع والثياب المصنوعة)، ومادتها لا تسمى سرابيل إلا بعد أن تحيلها صنعة الآدميين وعملهم، فإذا كانت مجعولة الله فهي مخلوقة له بجملتها صورتها ومادتها وهيئتها.[٢].

د- قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ خَالِقُ كُلِّ صَانِعٍ وَصُنْعَتَهُ»[٣] فدل الحديث على أن الله -تعالى - خالق للأعمال مع الذوات، قال الإمام البخاري عقبه: "فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة "[٤].

---

(١) وبه قالت المعتزلة انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي، ص ٩٤، ومقالات الإسلاميين، ١/ ٢٩٨. وشفاء العليل، لابن القيم، ١/ ١٤٥.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ص٦٤٣.

(٣) شفاء العليل، لابن القيم، ١/ ١٥٧.

(٤) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد، ص ٤٦، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (١/ ٨٥)، برقم ٨٦. وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه "، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٠٩) برقم ١٨٧.

* **الجبرية:** وهم الذين قالوا: إن العبد لا قدرة له على عمله، ولا إرادة ولا اختيار له فيه، وأن العباد مجبورون على أفعالهم وحركاتهم فيها، وأنهم مجبورون على الطاعة والمعصية.[(١)].

ويرد عليهم بالأدلة الدالة على أن العباد فاعلون على الحقيقة، وأن لهم مشيئة واختياراً على أفعالهم بعد مشيئة الله تعالى، ومما يدل على ذلك ما يأتي:

أ- قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝٦ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٦ - ٨] فأسند الله عمل الخير والشر إلى العبد؛ فدل على أنه من كسبه، وأنه سبحانه - سيجازيه به.

ب- قوله تعالى-: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦] فقد أثبت الله - تعالى - للعبد فعلاً وكسباً، والكسب هو الذي يعود على فاعله منه نفع أو ضرر.[(٢)].

ج- حديث علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم جالساً، وفي يده عود ينكت به فرفع رأسه فقال: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلَتُهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ فَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفَلَا نَتَّكِلُ؟ قَالَ: لَا، اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ:** ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥ - ١٠][(٣)].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) وبه قالت الجهمية. انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي، ص ٢١١. وشفاء العليل، لابن القيم، ١/١٤٩.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز، ص ٦٥٢.

فأمرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالعمل، وكل ميسر لما خلق له(١)".(٢).

٢- أن يدرك الداعي إلى الله أن الاحتجاج بالقدر يكون على المصائب لا على المعائب والذنوب. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "فالسعيد يستغفر من المعائب، ويصبر على المصائب، كما قال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [غافر: ٥٥] والشقي يجزع عند المصائب، ويحتج بالقدر على المعائب".(٣).

وينبغي للداعية إلى الله أن يحذر مما شاع بين الناس من قول (لو) عند حلول المصيبة لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أوصى لمن صابه شيء أن لا يقولها: **«وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ»**(٤).

---

(١) أخرجه البخاري، برقم ٦٦٠٥، ومسلم، برقم ٢٦٤٧ واللفظ له.

(٢) للاستزادة حول الرد على مذهب القدرية والجبرية انظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٧٩)، (ص ١٢٦) وما بعدها)، ومن كتب المتقدمين انظر مثلاً: مجموع الفتاوى لابن تيمية، (٨/٣٩٣، ٣٩٤، ٤٥٠، ٤٦٣)، وشفاء العليل لابن القيم، ١/١٥٧ وما بعدها)، ومدارج السالكين، لابن القيم، ٣/٤٢٦. وشرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ص ٦٤١ وما بعدها.

(٣) وقد يشكل على بعض الناس سؤال وهو: كيف يقال: إن أفعال العباد هي من أفعالهم على الحقيقة، والله خالقها على الحقيقة كما تقدم؟ وهذا لا يشكل على من عرف حقيقة قول أهل السنة، وقد بين ذلك العلماء المحققون قال الإمام البخاري: "قال أهل العلم: التخليق فعل الله، وأفعالنا مخلوقة لقوله تعالى: (وأسروا قولكم...... من خلق) الملك (١٣-١٤) يعني السر والجهر من القول، ففعل الله صفة الله، والمفعول غيره من الخلق "خلق أفعال العبادة للبخاري، ص ١١٤.

(٤) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٨/٤٥٤)، وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم، (٢/٨٥٧ وما بعدها).

٣- إدراك الداعية إلى الله للثمار العظيمة للإيمان بالقدر ودعوة الناس لمعرفتها والتي منها ما يأتي[١]:

أ- أنه يوجب للعبد توحيد الله عَزَّوَجَلَّ وإفراده بالعبادة والتضرع والطاعة؛ واليقين بأن الأمور كلها بيد الله، وأنه لن يصيب العبد إلا ما كتبه الله من خير أو شر ونفع أو ضر، وأن الله تعالى هو وحده الضار والنافع والمعطي والمانع.

ب- حصول الطمأنينة والراحة النفسية للمؤمن بقدر الله، حيث إنه لا يقلق ولا يحزن لفوات محبوب أو حصول مكروه، لأنه يعلم أن ذلك كله بقدر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الذي له ملك السموات والأرض، وما قدره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ كائن لا محالة، كما قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢ - ٢٣].

وقال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»[٢].

ج- استشعار عظمة الله وإحاطته الشاملة بكل شيء ونفوذ مشيئته على عموم الخلق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

---

(١) أخرجه مسلم، برقم ٢٦٦٤.
(٢) بحث علمي بعنوان: وسطية أهل السنة والجماعة في باب القدر، د/ عبد الله الغفيلي، مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٧٦)، (ص ٢١٥).

د- معرفة الإنسان قدر نفسه وعجزه، فلا يتعالى ويتكبر؛ لأنه عاجز عن معرفة المقدور ومستقبل ما هو حادث، ومن ثم يقر الإنسان بعجزه وحاجته إلى ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فتراه يكون صادقاً في توكله على ربه، يأخذ بالأسباب التي قدر الله أقدارها، ويطلب من ربه العون على ما عجز عنها بلا تردد ولا شك.

هـ- أنه يوجب للعبد الإقبال على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وانقطاع قلبه عن الالتفات إلى المخلوقين؛ لأن الأمور كلها بيد الله عَزَّ وَجَلَّ ولى وبقضائه وقدره.

و- تنشيط النفوس الصالحة بالاجتهاد في الأعمال الصالحة، وتخويف النفوس المقصرة لتسرع بالتوبة والرجوع إلى ربها؛ لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِماَ خُلِقَ لَهُ**»[١].

ز- أن في الإيمان بالقضاء والقدر القضاء على كثير من الأمراض السلوكية التي تفتك بالمجتمعات وتزرع الأحقاد بينها، مثل الحسد، فالمؤمن لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله لإيمانه بأن الله هو الذي رزقهم وقدر لهم ذلك، فأعطى من شاء ومنع من شاء؛ ابتلاء وامتحاناً منه سبحانه الخلقه، وأنه حين يحسد غيره إنما يعترض على المقدور .

---

(١) أخرجه مسلم، برقم ٢٩٩٩.

المطلب الثالث:
الدعوة إلى بيان السنة والتحذير من البدعة



إن من نعم الله تعالى العظمى وآلاته الكبرى أن جاءت هذه الشريعة كاملة لا تحتمل الزيادة؛ ولهذا قال عنها سبحانه: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

ولهذا أمر الشارع الحكيم بوجوب لزوم السنة، والبعد عن البدعة. وقرر هذا أهل السنة والجماعة في مصنفاتهم كما سيأتي - إن شاء الله - فيما بعد.

أولاً: بيان معنى السنة والبدعة لغة واصطلاحاً

ورودها هنا يقصد به - كما جاء في بحث علمي محكم -: "الطريقة التي كان عليها رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وأصحابه "[1].

وأما البدعة في اللغة: فهي مأخوذة من البدع، وهو الاختراع على غير مثال سابق، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٩].

أي: ما كنت أول من جاء بالرسالة من الله إلى العباد؛ بل تقدمني كثير من الرسل، ويقال: (ابتدع فلان بدعة) يعني: ابتدأ طريقة لم يسبق إليها.[2].

---

(١) أخرجه البخاري، برقم ٦٦٠٥. ومسلم، برقم ٢٦٤٧. واللفظ له.

(٢) بحث بعنوان (البدع وأثرها في انحراف التصور الإسلامي، لصالح بن سعد السحيمي، في مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٦)، (ص ١٥٦).

وأما في الاصطلاح: فقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "هي كل عبادة أحدثها الناس ليس لها أصل في الكتاب ولا في السنة ولا في عمل الخلفاء الأربعة الراشدين "[١].

وهذا المفهوم للبدعة هو ما عليه أهل العلم، فقد جاء في بحث علمي نقلاً عن الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعريفه للمبدعة بأنها "عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية[٢]"[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "البدعة هي الدين الذي لم يأمر الله به ورسوله، فمن دان ديناً لم يأمر الله ورسوله به فهو مبتدع بذلك، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[الشورى:٢١]"[٤].

ومن هنا تتضح أهمية إدراك الداعي إلى الله معنى البدعة اصطلاحاً، فهي متعلقة بالإحداث في الدين بما لم يكن له أصل شرعي، فيخرج بذلك الطريقة المخترعة في الدنيا كالصناعات مثلا، فإنها لا تسمى بدعة في الدين، وإنما تسمى بدعة من حيث اللغة.

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ص ١٠١. وقد ذكره الشيخ صالح الفوزان في بحث علمي له بعنوان (تعريف البدعة: أنواعها، وأحكامها في مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٢٣)، (ص ٣٤٩).

(٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٥٧)، (ص (١١٢)، وللاستزادة انظر: العدد (٢٠)، (ص ١٦٣)، والعدد.)٢٣)، (ص ٣٤٩)، والعدد (٢٤)، (ص ١١٦)، والعدد (٦٠)، (ص ٩٤).

(٣) الاعتصام، للشاطبي، ١/ ٣٧.

(٤) بحث علمي بعنوان (البدع وأثرها في انحراف التصور الإسلامي)، الصالح السحيمي، في مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٦)، (ص ١٥٧).

ثانياً: بيان الأدلة الشرعية بلزوم السنة والتحذير من البدعة:

١- قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

قال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "من أحدث في هذه الأمة اليوم شيئا لم يكن عليه سلفها فقد زعم أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خان الرسالة، لأن الله تعالى قال في كتابه العزيز: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣][(١)].

وهذه الآية أكبر نعم الله تعالى على هذه الأمة، حيث أكمل تعالى لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى دين غيره، ولا إلى نبي غير نبيهم صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا جعله الله تعالى خاتم الأنبياء، وبعثه إلى الإنس والجن، فلا حلال إلا ما أحلّه، ولا حرام إلا حرّمه، ولا دين إلا ما شرعه، وكل شيء أخبر به فهو حق وصدق.[(٢)].

٢- قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**»[(٣)].

وفي رواية: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[(٤)].

قال الشيخ صالح الفوزان بعد أن ساق هذه الأحاديث: "فدل على أن كل محدث في الدين فهو بدعة، وكل بدعة ضلالة مردودة، ومعنى ذلك أن البدع في العبادات والاعتقادات محرمة، ولكن التحريم يتفاوت بحسب نوعية البدعة:

---

(١) الاستقامة، لابن تيمية، ١/ ٥.

(٢) الاعتصام، للشاطبي، ١/ ٥.

(٣) أخرجه البخاري، برقم ٢٦٩٧.

(٤) أخرجه البخاري، باب: إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ.

فمنها ما هو كفر صراح - كالطواف بالقبور تقرباً إلى أصحابها، وتقديم الذبائح والتذور لها، ودعاء أصحابها والاستغاثة بهم.... ومنها ما هو من وسائل الشرك كالبناء على القبور، والصلاة والدعاء عندها، ومنها ما هو فسق اعتقادي - كبدعة الخوارج.... في أقوالهم واعتقاداتهم المخالفة للأدلة الشرعية، ومنها ما هو معصية - كبدعة التبتل، والصيام قائما في الشمس، والخصاء بقصد قطع شهوة الجماع "(١).

٣-قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ، وإيَّاكم ومُحدَثاتِ الأُمورِ؛ فإنَّ كُلَّ بِدعةٍ ضَلالةٌ**»(٢).

وكان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في خطبه: «**أَمَّا بَعْدُ. فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ. وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ. وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا. وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(٣).

وعلى ضوء هذه الأدلة فإن الواجب على الداعي إلى الله:

١-استحضارها دوماً فإنها أكبر زاجر له ولغيره عن سلوك طريق البدعة، ولربما واجه من أصناف المدعوين من يلازم البدعة فتكون تلك الأدلة زاداً له لدعوته للسنة وترك البدعة.

٢-ينبغي للداعي أيضا معرفة أهم م الكتب التي تكلمت عن البدع وحذرت منها.(٤).

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٢٣)، (ص ٣٥١).

(٢) أخرجه الترمذي، برقم ٢٦٧٦. وأبوداود، برقم ٤٦٠٧. وصححه الألباني.

(٣) أخرجه مسلم، برقم ٨٦٧.

(٤) قال الشيخ صالح الفوزان: "وأما الكتب الخاصة في الرد على أهل البدع فهي كثيرة، =

٣-أن يدرك الداعي إلى الله أن البدع البا وإن كانت جميعها محرمة فإنها ليست على درجة واحدة؛ وإنما تتفاوت، فمنها المكفرة ومنها غير ذلك كما سبق بيانه.

٤-أن يدرك خطأ من يقسم البدعة إلى حسنة وسيئة؛ لأن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حكم على البدع كلها بأنها ضلالة. قال الحافظ ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ: "قوله «وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» من جوامع الكلم لا يخرج عنه شيء، وهو أصل عظيم من أصول الدين[1]".[2].

ثالثاً: بيان الأسباب التي أدت إلى ظهور البدع:

١- الجهل بأحكام الدين:

فكلما امتد الزمن وبعد الناس عن آثار الرسالة قلَّ العلم وفشا الجهل، كما أخبر بذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا»[3].

= منها على سبيل المثال من الكتب القديمة: كتاب الاعتصام للإمام الشاطبي، واقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية، وإنكار الحوادث والبدع للطرطوشي، والباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة، ومن الكتب العصرية الإبداع في مضار الابتداع لعلي محفوظ، وكتاب السنن والمبتدعات لمحمد الشقيري، ورسالة التحذير من البدع لابن باز"مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٢٣)، (ص ٣٦٠).

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب، ٩٨.

(٢) وللاستزادة في الرد على ما يستدل به من قسم البدعة إلى حسنة وسيئة انظر مثلا: رد الشيخ صالح الفوزان في مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٢٣)، (ص ٣٥٢)، وبحث البدع طعن في الدين، لصالح آل علي (ص ١٨٩) في مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٤)، (ص ١٨٩)

(٣) أخرجه الترمذي، برقم ٢٦٧٦. وأبوداود، برقم ٤٦٠٧. وصححه الألباني.

فلا يقاوم البدع إلا العلم والعلماء، فإذا فقد العلم والعلماء أتيحت الفرصة للبدع أن تظهر وتنتشر ولأهلها أن ينشطوا.

٢- اتباع الهوى:

فإن من أعرض عن الكتاب والسنة فهو متبع هواه كما قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ ۚ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ ۚ﴾ [الجاثية: ٢٣].

والبدع إنما هي ثمرة الهوى المتبع.

٣-التعصب للآراء والرجال يحول بين المرء واتباع الدليل ومعرفة الحق، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۗ﴾ [البقرة: ١٧٠].

وهذا هو شأن المتعصبين اليوم من بعض أتباع المذاهب والفرق الضالة، فإذا دعوا إلى اتباع الكتاب والسنة ونبذ ما هم عليه مما يخالفهما احتجوا بمذاهبهم ومشايخهم و آبائهم وأجدادهم.

٤-التشبه بالكفار وهو من أشد ما يوقع في البدع: وذلك أن غالب الناس من المسلمين قلّدوا الكفار في عمل البدع والشركيات كأعياد الموالد وإقامة الأيام والأسابيع الأعمال مخصصة والاحتفال بالمناسبات الدينية والذكريات وإقامة التماثيل والنصب التذكارية العالي والبناء على القبور وغير ذلك.

وعلى ضوء ما تقدم فعلى الداعي إلى الله:

١-معرفة هذه الأسباب، والعمل على التحذير منها وبيان خطورتها بكل ما يستطيع من وسائل وأساليب كإلقاء الكلمات والمحاضرات والدروس العلمية التي تتناول هذه الأسباب أو بعضها.

٢- عليه أن يجتهد في تعليم الناس أحكام دينهم وسنة نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأن العلم يحول بينهم وبين البدع والمحدثات ويوفر لهم الوقاية منها.

٣- أن يكون قدوة حسنة في الاستجابة لله ورسوله، فلا يتبع الهوى في دعوته باستحسان مسائل أو وسائل لم يشرعها الله ورسوله، ومن ذلك الإيغال والإغراق في الدعوة إلى مسائل، أو جزئيات معينة - كالرقائق والسياسة - مع جعلها أهم الأمور التي عنده، وإغفاله ما هو أهم وأعظم من الدعوة إلى التوحيد وفرائض الدين.

٤-أن يكون قدوة حسنة في البعد عن التعصب للآراء والرجال، وإنما يكون قائده ما دل عليه الكتاب والسنة وما سار عليه عليه سلف الأمة.

رابعاً: التحذير من بعض البدع لكثرة انتشارها.

١- بدعة الاحتفال بمولد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ محذراً من هذه البدعة وذاكراً الأدلة على بدعيتها: "لا يجوز الاحتفال بمولد الرسول ولا غيره، بل يجب منعه؛ لأن ذلك من البدع المحدثة في الدين، ولأن الرسول لم يفعله، ولم يأمر به لنفسه أو لأحد ممن توفي قبله من الأنبياء أو من بناته أو زوجاته أو أحد أقاربه

أو صحابته، ولم يفعله خلفاؤه الراشدون ولا غيرهم من الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين- ولا التابعون لهم بإحسان، ولا أحد من علماء الشريعة والسنة المحمدية في القرون المفضلة، وهؤلاء هم أعلم الناس بالسنة، وأكمل حيا الرسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومتابعة لشرعة ممن بعدهم، ولو كان خيرا لسبقونا إليه.

وقد أُمرنا بالاتباع ونهينا عن الابتداع، وذلك لكمال الدين الإسلامي والاغتناء بما شرعه الله تعالى ورسوله وتلقاه أهل السنة والجماعة بالقبول من الصحابة والتابعين لهم بإحسان.

وقد ثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ»**[1]. متفق على صحته. وفي رواية أخرى لمسلم: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»**[2]، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في حديث آخر: **«عليكم بسُنَّتي وسُنَّةِ الخُلَفاءِ الرَّاشِدينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذِ، وإيَّاكم ومُحدَثاتِ الأُمورِ؛ فإنَّ كُلَّ بِدعةٍ ضَلالةٌ»**[3].

وكان صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في خطبته يوم الجمعة: **«أَمَّا بَعْدُ. فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ. وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ. وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا. وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»**[4].

---

(١) أخرجه البخاري، برقم ٢٦٩٧.

(٢) أخرجه مسلم، برقم ١٧١٨. مسند أحمد بن حنبل، ٦/ ١٨٠.

(٣) سنن أبو داود، برقم ٤٦٠٧، سنن الدارمي المقدمة، برقم ٩٥٦.

(٤) أخرجه مسلم، برقم ٨٦٧. سنن النسائي، برقم ١٥٧٨. سنن أبو داود، برقم ٢٩٥٤. سنن ابن ماجه، المقدمة، برقم ٤٥. مسند أحمد بن حنبل، ٣/ ٣٧١. سنن الدارمي، المقدمة، برقم ٢٠٦.

ففي هذه الأحاديث تحذير شديد من إحداث البدع وتنبيه بأنها ضلالة تنبيها للأمة على عظيم خطرها وتنفيرا لهم عن اقترافها والعمل بها. والأحاديث في هذا المعنى كثيرة. وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

...وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

وهذه الآية تدل دلالة صريحة على أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قد أكمل لهذه الأمة دينها وأتم عليها نعمته، ولم يتوفَ نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلا بعد ما بلغ البلاغ المبين، وبيّن للأمة كل ما شرعه الله لها من أقوال وأعمال، وأوضح أن كل ما يحدثه الناس بعده وينسبونه إلى الدين الإسلامي من أقوال وأعمال فكله بدعة مردودة على من أحدثها ولو حسن قصده. وقد ثبت عن أصحاب رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعن السلف الصالح بعدهم التحذير من البدع والترهيب منها، وما ذاك إلا لأنها زيادة في الدين وشرع لم يأذن به الله وتشبه بأعداء الله من اليهود والنصارى في زيادتهم في دينهم وابتداعهم فيه ما لم يأذن به الله، ولأن لازمها التنقص للدين الإسلامي واتهامه بعدم الكمال، ومعلوم ما في هذا من الفساد العظيم والمنكر الشنيع والمصادمة لقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] والمخالفة الصريحة لأحاديث الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ المحذرة من البدع والمنفرة منها.

وإحداث مثل هذه الاحتفالات بالمولد ونحوه يفهم منه أن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لم يكمل الدين لهذه الأمة، وأن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يبلغ ما ينبغي للأمة

أن تعمل به؛ حتى جاء هؤلاء المتأخرون فأحدثوا في شرع الله ما لم يأذن به الله، زاعمين أن ذلك مما يقربهم إلى الله، وهذا بلا شك فيه خطر عظيم واعتراض على الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وعلى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والله سبحانه قد أكمل لعباده الدين، وأتم عليهم النعمة، والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد بلغ البلاغ المبين، ولم يترك طريقا يوصل إلى الجنة ويباعد من النار إلا بينه لأمته، كما ثبت في الصحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ**»(١). رواه مسلم في صحيحه، ومعلوم أن نبينا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هو أفضل الأنبياء وخاتمهم وأكملهم بلاغا ونصحا، فلو كان الاحتفال بالموالد من الدين الذي ارتضاه الله سبحانه لعباده؛ لبينه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للأمة أو فعله في حياته أو فعله أصحابه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فلما لم يقع شيء من ذلك علم أنه ليس من الإسلام في شيء، بل هو من المحدثات التي حذر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها أمته كما تقدم ذلك في الأحاديث السابقة.

وقد صرح جماعة من العلماء بإنكار الموالد والتحذير منها عملا بالأدلة المذكورة وغيرها، ومعلوم أن القاعدة الشرعية أن المرجع في التحليل والتحريم ورد ما تنازع فيه الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٞ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٖ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى: ١٠].

---

(١) أخرجه مسلم، برقم ١٨٤٤.

وإذا رددنا هذه المسألة وهي الاحتفال بالموالد إلى كتاب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وجدناه يأمرنا باتباع الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيما جاء به، ويحذرنا عما نهى عنه، ويخبرنا بأن الله سبحانه قد أكمل لهذه الأمة دينها، وليس هذا الاحتفال مما جاء به الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيكون ليس من الدين الذي أكمله الله لنا وأمرنا باتباع الرسول فيه.

وإذا رددناه أيضا إلى سنة رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم نجد فيها أنه فعله ولا أمر به ولا فعله أصحابه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ فبذلك نعلم أنه ليس من الدين، بل هو من البدع المحدثة ومن التشبه الأعمى بأهل الكتاب من اليهود والنصارى في أعيادهم، وبذلك يتضح لكل من له أدنى بصيرة ورغبة في الحق وإنصاف في طلبه أن الاحتفال بجميع الموالد ليس من دين الإسلام في شيء؛ بل هو من البدع المحدثات التي أمرنا الله سبحانه ورسوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بتركها والحذر منها.

ولا ينبغي للعاقل أن يغتر بكثرة من يفعله من الناس في سائر الأقطار، فإن الحق لا يعرف بكثرة الفاعلين وإنما يعرف بالأدلة الشرعية، كما قال تعالى عن اليهود والنصارى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الأنعام: ١١٦]"(١).

٢- بدعة تخصيص ليلة النصف من شعبان بالذكر والقيام.

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٢٢)، (ص (٨-١١)، وانظر على سبيل المثال: العدد (٢٣) ص(٣٦٠)، والعدد (٥٩) ص(٨٧)، والعدد (٧٣) ص(٣٠)، والعدد (٧٤) ص(٣٧).

ومما جاء في التحذير منها: فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، وذلك جواباً لسؤال هذا نصه: "هل هذه الآية التي في سورة الدخان: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

المقصود بها ليلة النصف من شعبان، أم المراد بها ليلة القدر، وهل يستحب في ليلة النصف من شعبان العبادة والذكر والقيام وقراءة القرآن وصيام يوم أربعة عشر من شعبان؟ فأجابت اللجنة بما يأتي:

أولاً: الصحيح أن الليلة المذكورة في هذه الآية هي ليلة القدر، وليست ليلة النصف من شعبان.

ثانياً: لا يستحب تخصيص ليلة النصف من شعبان بشيء من العبادة مما ذكرت أو غيره؛ بل هي كغيرها من الليالي الأخرى وتخصيصها بشيء من العبادات بدعة"(١).

٣-بدعة الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج في السابع والعشرين من رجب، ومما جاء في التحذير منها: ما أجاب سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ حول سؤال عن حكم الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج، فقال: "هذا ليس بمشروع؛ لدلالة الكتاب والسنة، والاستصحاب، والعقل. أما الكتاب، فقد قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ

---

(١) فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، برقم (٧٩٢٩) في مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٣٨)، (ص ٨٨)، وانظر أيضاً على سبيل المثال: العدد (٢٣) ص(٣٦٦).

فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول هو الرجوع إليه في حياته وإلى سنته بعد مماته.

وأما السنة: فالأول ما ثبت في الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**»(١). وفي رواية لمسلم: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»(٢).

وأما الاستصحاب: فهو هنا استصحاب العدم الأصلي، وتقرير ذلك: أن العبادات توقيفية فلا يقال: هذه العبادة مشروعة إلا بدليل من الكتاب والسنة والإجماع، ولا يقال إن هذا جائز من باب المصلحة المرسلة أو الاستحسان أو القياس أو الاجتهاد؛ لأن باب العقائد والعبادات والمقدرات كالمواريث والحدود لا مجال للشك فيها.

وأما المعقول: فتقريره أن يقال: لو كان هذا مشروعاً لكان أولى الناس بفعله محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

هذا إذا كان التعظيم من أجل الإسراء والمعراج، وإن كان من أجل الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ وإحياء ذكره كما يفعل في مولده - فأولى الناس به أبو بكر الله ثم عمر ثم عثمان ثم علي - رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ، ثم من بعدهم من الصحابة على قدر منازلهم

---

(١) أخرجه البخاري، برقم ٢٦٩٧.

(٢) أخرجه مسلم، برقم ١٧١٨. مسند أحمد بن حنبل، ٦/ ١٨٠.

عند الله، ثم التابعون ومن بعدهم من أئمة الدين، ولم يعرف عن أحد منهم شيء من ذلك، فيسعنا ما وسعهم"[١].

وعلى ضوء ما تقدم فعلى الداعي إلى الله:

١- أن يدرك أن عليه واجباً عظيماً حيال هذه البدع وغيرها، وهو تحذير الناس منها بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن كما فعل العلماء الراسخون في العلم، خصوصاً قبل الأوقات التي تقام فيها هذه البدع.

٢- أن يتفطن لأمر مهم جداً، وهو تنبيه الناس على عدم الاغترار بكثرة من يقيم هذه البدع، فإن العبرة بما دل عليه الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح، وقد حذر سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ من هذا الاغترار بعد أن حذّر من بدعة المولد، فقال: "ولا ينبغي للعاقل أن يغتر بكثرة من يفعله من الناس في سائر الأقطار، فإن الحق لا يعرف بكثرة الفاعلين وإنما يعرف بالأدلة الشرعية، كما قال تعالى عن اليهود والنصارى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الأنعام: ١١٦]"[٢].



---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٧٦)، (ص (٣٣)، وانظر: العدد (٢٣)، (ص ٣٦٦)، والعدد (٣٨) (ص (٩١).

(٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٢٢)، (ص (٨-١١)، وانظر على سبيل المثال: العدد (٢٣) ص(٣٦٠)، والعدد (٥٩) ص(٨٧)، والعدد (٧٣) ص(٣٠)، والعدد (٧٤) ص(٣٧).

الفصل الثاني:
مجال العبادات وكيفية الدعوة إليها

تعريف العبادة.

المبحث الأول: الصلاة.

المبحث الثاني: الزكاة.

المبحث الثالث: صوم رمضان.

المبحث الرابع: الحج.

إن أعظم ثمرة لتحقيق عقيدة التوحيد هي الالتزام بأداء العبادات العظيمة على الوجه الذي أمر به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

تعريف العبادة.

والعبادة "هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة"[١].

وفي هذا الفصل لا يتسع المقام لتناول جميع أنواع العبادات؛ ولكن سيكون الحديث عن أعظم تلك العبادات، والتي اشتملت على أنواع العبادات الثلاثة القلبية والقولية والعملية، وهي أركان الإسلام غير الشهادتين التي سبق بيانها في الفصل الماضي.

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ- مبينا عظم هذه العبادات بعد أن تحدث عن عقيدة التوحيد-: "ثم إنه سبحانه مع ذلك كله شرع للناس عبادات تصلهم بالله، وتقربهم لديه، وتزكيهم، وتقوي في قلوبهم محبته والتوكل عليه، والأنس بمناجاته وذكره، والتلذذ بطاعته، شرع لهم الطهارة وجعل هذه الطهارة مفتاحا للصلاة التي هي أعظم عبادة وأكبر عبادة بعد الشهادتين.... ثم شرع الله للناس أيضا زكاة، وجعلها حقا في أموالهم تربط الأغنياء بالفقراء ويصلهم بهم.... وأما الصوم فكلكم يعلم ما فيه من الخير العظيم والمصالح الكبيرة التي منها تطهير النفس من أشرها وبطرها وشحها وبخلها وكبرها..... وأما الحج ففيه من الفوائد العظيمة من الصلة بالله والتقرب إليه..."[٢].

وفيما يأتي بيان لهذه الأركان العظيمة:

---

(١) وهذا التعريف هو تعريف شيخ الإسلام ابن تيمية للعبادة كما جاء في كتابه العبودية، ص ٧.

(٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٤٥)، (ص ٢١).

المبحث الأول: الصلاة



للصلاة منزلة كبيرة في الإسلام فهي الركن الثاني من أركان الإسلام، وعماد الدين الذي لا يقوم إلا به، وأول عبادة فرضها الله على عبادة في مكة، والعبادة التي فرضت في السماء حينما عرج بالنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والصلاة في اللغة الدعاء، ومنه قوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] أي: أدعُ لهم، يقال: (صل على فلان): إذا دعا له وزكاه.[١].

وأما اصطلاحاً فهي الأفعال والأقوال المخصوصة المفتتحة بالتكبير والمختتمة بالتسليم.[٢].

أولاً: بيان وجوب أداء الصلوات الخمس، وأنها أعظم ما فرض الله سبحانه بعد التوحيد:

أداء الصلوات الخمس أعظم ما فرض الله تعالى بعد التوحيد، قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فالصلاة أعظم الواجبات وأهم الفرائض بعد التوحيد، وهي عمود الإسلام، وهي أعظم ركن وأعظم فريضة بعد الشهادتين..... لقول الله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، ولقوله سبحانه: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٨٣]، ولقوله سبحانه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّ

---

(١) لسان العرب لابن منظور، ١٤/٤٦٤، ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ص ٥٤٩.

(٢) انظر: بدائع الصنائع للكاساني، ١/ ٨٩. وروضة الطالبين وعمدة المفتين، للنووي، ١/ ١٨٠، والفروع لابن مفلح، ١/٢٤٧.

ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[العنكبوت: ٤٥]، ولقوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾[المعارج: ٣٤ - ٣٥][1].

وما قاله سماحة الشيخ هو محل إجماع أهل العلم، يقول ابن قدامة المقدسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الصلاة: "وهي واجبة بالكتاب والسنة والإجماع، أما الكتاب: فقول الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾[البينة: ٥].

وأما السنة: فقد ثبت عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: **«بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ»**[2].

وأما الإجماع: فقد أجمعت الأمة على وجوب الخمس صلوات في اليوم والليلة "[3].

ثانياً: أهم الدعائم التي تحقق للداعي إلى الله حسن الدعوة لأداء الصلاة:

١- على الداعي إلى الله أن يكون قدوة حسنة، فيحافظ على الصلاة في أوقاتها، فيكون داعيا إلى الله بفعله قبل قوله.

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٥٤) (ص (٢٢) وللاستزادة انظر مثلا العدد (١٨)) ص٣٣٧)، والعدد (٤٥)، (ص ٢١).

(٢) أخرجه البخاري، برقم ٨.

(٣) المغني، لابن قدامه، ١/١٧٦.

٢-أن يبين للناس عظيم شأن الصلاة، وما يتعلق بأحكامها، وأنها أعظم واجب بعد توحيد الله، ويستدل على ذلك بأدلة الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة.

٣-أن يدرك الداعي إلى الله الآثار العظيمة للصلاة، ودعوة الناس لتأملها لتكون من أكبر الحوافز للاهتمام بها، والتي منها ما يأتي:

أ-أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، كما قال تعالى: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

ب-أنها تكفر السيئات؛ لحديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الصَّلَاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ**»(١).

ج- أنها يرفع الله بها الدرجات ويحط بها الخطايا؛ لقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلهِ فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً**»(٢).

د-أن الذهاب إلى المساجد لأدائها سبب لتهيئة الضيافة لصاحبها في الجنة؛ لحديث أبي هريرة الله عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: «**مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ وَرَاحَ، أَعَدَّ اللهُ لَهُ نُزُلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم، برقم ٢٣٣.
(٢) أخرجه مسلم، برقم ٤٨٨.
(٣) أخرجه البخاري، برقم ٦٦٢. ومسلم، برقم ٦٦٩.

هـ-أن انتظارها رباط في سبيل الله؛ لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ[1]، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**»[2].

ثالثاً: بيان وجوب أداء الصلوات الخمس في الجماعة وعظم أجرها.

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان عام لمن يطلع عليه من المسلمين، مبيناً وجوب الصلوات الخمس جماعة بالأدلة من الكتاب والسنة:

"من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى من يراه من المسلمين. وفقهم الله لما فيه رضاه، ونظمني وإياهم في سلك من خافه واتقاه، آمين:

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فقد بلغني أن كثيرا من الناس قد يتهاونون بأداء الصلاة في الجماعة، ويحتجون بتسهيل بعض العلماء في ذلك، فوجب على أن أبين عظم الأمر وخطورته، وأنه لا ينبغي للمسلم أن يتهاون بأمر عظم الله شأنه في كتابه العظيم، وعظم شأنه رسوله الكريم - عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم- ولقد أكثر الله سبحانه من ذكر الصلاة في كتابه الكريم، وعظم شأنها، وأمر بالمحافظة عليها وأدائها في الجماعة، وأخبر أن التهاون بها والتكاسل عنها من صفات المنافقين،

---

(١) هي جمع مكره، وهو ما يكرهه الإنسان ويشق عليه، والكره بالضم والفتح المشقة، والمعنى أن يتوضأ مع البرد الشديد وما أشبه ذلك من الأسباب الشاقة. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ص٧٨٧.

(٢) أخرجه مسلم، برقم ٢٥١.

فقال تعالى في كتابه المبين: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[البقرة: ٢٣٨].

وكيف يعرف الناس محافظة العبد عليها وتعظيمه لها وقد تخلف عن أدائها مع إخوانه وتهاون بشأنها ؟! وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[البقرة: ٤٣].

وهذه الآية الكريمة نص في وجوب الصلاة في الجماعة والمشاركة للمصلين في صلاتهم، ولو كان المقصود إقامتها فقط لم تظهر مناسبة واضحة في ختم الآية بقوله سبحانه: ﴿وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[البقرة: ٤٣] لكونه قد أمر بإقامتها في أول الآية.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾[النساء: ١٠٢].

فأوجب الله سبحانه أداء الصلاة في الجماعة في حال الحرب، فكيف بحال السلم؟، ولو كان أحد يسامح في ترك الصلاة في جماعة لكان المصافّون للعدو المهدَّدون بهجومه عليهم أولى بأن يُسمَح لهم في ترك الجماعة، فلما لم يقع ذلك علم أن أداء الصلاة في جماعة من أهم الواجبات، وأنه لا يجوز لأحد التخلف عن ذلك.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي أنه قال: «**لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بِحَطَبٍ فَيُحْطَبَ، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلَاةِ فَيُؤَذَّنَ لَهَا، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ النَّاسَ،**

ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهُمْ»(١). الحديث. وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: «لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنِ الصَّلَاةِ إِلَّا مُنَافِقٌ قَدْ عُلِمَ نِفَاقُهُ، أَوْ مَرِيضٌ. إِنْ كَانَ الْمَرِيضُ لَيَمْشِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ حَتَّى يَأْتِيَ الصَّلَاةَ»(٢).

وقال: «إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَّمَنَا سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى الصَّلَاةَ فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي يُؤَذَّنُ فِيهِ»(٣).

وفيه أيضا عنه قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللهَ غَدًا مُسْلِمًا فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُنَنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى. وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ. وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ. وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمِدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ. وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يُهَادَى(٤) بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري، برقم ٦٤٤. ومسلم، برقم ٦٥١. واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم، برقم ٦٥٤.

(٣) المرجع السابق.

(٤) يهادى: أي: يمشي بينهما معتمداً عليهما من ضعفه وتمايله – انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (ص ٩٩٠).

(٥) أخرجه مسلم، برقم ٦٥٤.

وفي صحيح مسلم أيضا عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رجلا أعمى قال: يا رسول الله، إنه ليس لي قائد يلائمني[١] إلى المسجد، فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي؟ فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلَاةِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَجِبْ»[٢][٣].[٤]

---

(١) يلائمني: أي: يساعدني. انظر: المرجع السابق.

(٢) أخرجه مسلم، برقم ٦٥٣.

(٣) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٨) (ص (٣٣٧) وللاستزادة انظر مثلا العدد (٥٢) (٢٢).

(٤) يرجح سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز وأهل العلم الذين كتبوا في المجلة القول بوجوب أداء الصلوات الخمس جماعة في المسجد، وأنه فرض عين والمسألة مختلف فيها على أربعة أقوال بعد أن اتفقوا على أن إقامة الصلوات الخمس في المساجد من أعظم العبادات، وأجل القربات، وهي:

القول الأول: أنها فرض عين، وهذا المنصوص عن الإمام أحمد وغيره من أئمة السلف وفقهاء الحديث.

القول الثاني: فرض كفاية، وهذا المرجح في مذهب الشافعي، وقول بعض أصحاب مالك، وقول في مذهب أحمد.

القول الثالث: سنة مؤكدة، وهذا هو المعروف عن أصحاب أبي حنيفة، وأكثر أصحاب مالك، وكثير من أصحاب الشافعي، ويذكر رواية عن الإمام أحمد.

القول الرابع: فرض عين وشرط في صحة الصلاة، وهو قول طائفة من قدماء أصحاب الإمام أحمد، وطائفة من السلف، واختاره ابن حزم وغيره.

انظر تفصيل هذه الأقوال في: المجموع شرح المهذب للإمام النووي (٨٧/ ٤)، والمغني لا بن قدامة، (٥/ ٣)، وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، (٢٢٥/ ٢٣-٢٥٤)، والإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، للمرداوي مع المقنع والشرح الكبير - (٤ / ٢٦)، ونيل الأوطار، للشوكاني، (٣٤٠/ ٢)، وكتاب الصلاة، لابن القيم، (ص ٦٩).

رابعاً: أهم الدعائم التي تحقق للداعي إلى الله حسن الدعوة لأداء الصلاة مع الجماعة:

١- أن يكون الداعي إلى الله من أوائل المحافظين على أداء الصلاة في الجماعة، بل ومن المبكرين لها.

٢- ينبغي عليه أن يدعو الناس للاهتمام بها، يرغبهم في الخير العظيم الذي ينتظر المحافظين عليها ويرهبهم من مغبة التفريط في أدائها كما تقدم من كلام سماحة الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

٣- أن يحث الداعي إلى الله الآباء والأمهات على الاهتمام بأبنائهم وتنشئتهم على أداء الصلاة وارتياد المساجد؛ فإن الابن ينشأ على ما تربى عليه غالباً.

٤- أن يتدبر الداعي إلى الله الفوائد العظيمة والآثار التربوية الكبيرة المترتبة على أداء الصلاة جماعة، ودعوة الناس لمعرفتها وتأملها، ومن أبرزها ما يأتي:

أ-إظهار شعيرة من أعظم شعائر الإسلام، فلو صلى الناس كلهم في بيوتهم لما عرف أن هنالك صلاة في الإسلام.

ب-حصول التواد والتحاب بين الناس، فملاقاة الناس بعضهم بعضا توجب المحبة والألفة ومعرفة أحوال بعضهم، فيقومون بعيادة المرضى، وتشييع الموتى، وإغاثة الملهوفين، وإغاثة المحتاجين وغير ذلك.

ج-أن فيها تعليماً للجاهل، وذلك بسماعه للقراءة الجهرية وأذكار أدبار الصلوات فيحفظها، ويقتدي بالإمام في أفعال الصلاة، ويستمع إلى ما يقوله الإمام من مواعظ و دروس، ويتعلم أحكام صلاته.



د- تعويد الأمة الإسلامية على الاجتماع وعدم التفرق، فهم يقتدون بإمام واحد يتابعونه تماما فيعتادون على الاجتماع وعدم التفرق.

هـ-شعور المسلمين بالمساواة وإزالة الفوارق الاجتماعية، حيث يصلي الغني بجانب الفقير، والأمير بجانب المأمور، والصغير بجانب الكبير... وهكذا، فيشعر الناس بأنهم سواء.

٥- أن يبين الداعي إلى الله أيضا بيان أحكام الصلوات الأخرى كصلاة الجمعة والعيدين والاستسقاء والكسوف وغيرها، وليستفد مما جاء في مجلة البحوث الإسلامية.

خامساً: تحذير الناس من ترك الصلاة والتكاسل في أدائها.

ترك الصلاة من الذنوب العظيمة، ورجح كثير من أهل العلم كفر تارك الصلاة تهاوناً وكسلاً. قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن ترك الصلاة كفر على الصحيح من أقوال العلماء ولو كان مقراً بالوجوب، إذا تركها تهاوناً وكسلاً كفر بذلك، كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ**»(١). رواه مسلم في صحيحه، وقال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «**العهدُ الذي بينَنا وبينَهم الصلاةُ، فمَن تركَها فقد كفرَ**(٢)»(٣).

(١) أخرجه مسلم، برقم ٧٦.

(٢) أخرجه الترمذي، برقم ٢٦٢١. والنسائي، برقم ٤٦٣. وابن ماجه، برقم ١٠٧٩. والحاكم وصححه (١/ ٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٥٦٤.

(٣) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٢٦)، (ص ١٣٨).

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ في إجابة له على سؤال عن حكم تارك الصلاة: "تارك الصلاة إن كان جاحدا لوجوبها ومنكرا لها فإجماع المسلمين أن هذه ردة، وهذا أمر لا إشكال فيه؛ لأن الصلاة أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام، وهي قرينة التوحيد في كتاب الله، فالجاحد لها والمنكر لوجوبها قد خرق إجماع الأمة وأتى بأمر عظيم، فلا شك في كفره وضلاله.

أما لو كان مقرا لوجوبها معترفا بها، ولكن تركها تكاسلا وتهاونا: فمن العلماء من يرى كفره ويقول: إن الأدلة الشرعية تدل بعمومها على كفره، مثل قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**العهدُ الذي بينَنا وبينَهم الصلاةُ، فمَن تركَها فقد كفرَ**»[1]. وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ**»[2]. وظاهر القرآن قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥]، وقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، ومثل قوله عن الكفار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ [المدثر: ٤٢] ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٤٣] ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾ [المدثر: ٤٤] ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ﴾ [المدثر: ٤٥] ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [المدثر: ٤٦].

وظاهر القرآن والسنة وصف تارك الصلاة بالكفر نسأل الله العفو والعافية"[3].

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم ٢٦٢١. والنسائي، برقم ٤٦٣، وابن ماجه، برقم ١٠٧٩، والحاكم وصححه (١/ ٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم ٥٦٤.

(٢) أخرجه مسلم، برقم ٧٦.

(٣) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٥٩)، (ص ٩٠).

وبناء على ما تقدم: فإنه يجب على الداعية إلى الله تحذير الناس من خطورة ترك الصلاة، وبيان أن تركها يفضي إلى الكفر - والعياذ بالله-.

ويستدل على ذلك بنصوص الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة.

وعليه أن يتفطن لأمر مهم جداً يتجلى في تحذير الناس من إطلاق لفظ الكفر على المعينين؛ لأن هناك فرقاً بين التكفير المطلق والتكفير المعين، وهناك ضوابط للتكفير المعين بينها أهل السنة والجماعة.[1].

18-02-26



(١) إن للتكفير عند أهل السنة والجماعة ضوابط لابد من مراعاتها، وإلا وقع المرء فيما لا تحمد عقباه، ومن أبرز تلك الضوابط التي قررها علماء أهل السنة والجماعة في هذا الباب ما يأتي:
أولا: التفريق بين التكفير المطلق والتكفير المعين يقول ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن التكفير المطلق مثل الوعيد المطلق، لا يستلزم تكفير الشخص المعين حتى تقوم الحجة التي يكفر تاركها "الاستقامة لابن تيمية (١٦٤/١).
ثانيا: بيان شروط تكفير المعين. وهي:
١- أن يكون المعين بالغاً عاقلاً.
٢- أن يقع منه الكفر على وجه الاختيار.
٣- أن تبلغه الحجة التي يكفر خلافها.
٤- أن لا يكون متأولاً.
ثالثاً: بيان من له حق النظر والحكم في التكفير، فإن النظر في هذا الباب لا يكون إلا لأهل العلم الراسخين فيه.
انظر تفصيل هذه الضوابط في الاستقامة، لابن تيمية (١٦٤/١)، ومجموع الفتاوى لابن تيمية (٦١٩/٧)، وكتاب الصلاة، لابن القيم (ص (٣٤).

المبحث الثاني: الزكاة:



الزكاة هي الركن الثالث من أركان الإسلام، وهي قرينة الصلاة، ومن أعظم شعائر الإسلام، فهي تظهر المال وتنميه وتقرب بين الناس مع تفاوت أحوالهم، وتغرس في قلوبهم الألفة والمحبة والإخاء.

والزكاة في اللغة لها عدة معان، منها:

١- النماء والزيادة، يقال: (زكا الزرع): إذا نما وزاد.

٢- والتطهير، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩]أي: طهّرها.(١).

وأما في الشرع فهي حق واجب في مال خاص لطائفة مخصوصة، في وقت مخصوص.(٢).

أولاً: بيان وجوب الزكاة وأنها ركن من أركان الإسلام:

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ: "وقد دلت الآيات والأحاديث الكثيرة على وجوبها وركنيتها؛ ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦].

---

(١) لسان العرب لابن منظور، ١٤/ ٣٥٨.

(٢) منتهى الإرادات للفتوحي، ١/ ٤٣٥. والإقناع، للحجاوي، ١/ ٣٨٧.



ومن السنة: ما ورد عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ**»(١)، وما ورد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعث معاذا إلى اليمن فقال: «**ادْعُهُمْ إِلَى: أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ**»(٢).

والآيات والأحاديث في وجوبها كثيرة "(٣).

فعلى الداعية إلى الله أن يبين لكافة الناس حكم الزكاة ومكانتها في الإسلام كما أن عليه دعوة من وجبت عليه الزكاة بأدائها، ذاكراً الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة، وأن ذلك حق معلوم في أموالهم، وأنها لا تنقص المال ولا تتلفه، وإنما تنميه وتطهره وتبارك فيه.

ثانياً: تحذير الناس من الامتناع عن أداء الزكاة، وبيان عظم عقوبة تاركها:

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ:

---

(١) أخرجه البخاري، برقم ٨.

(٢) أخرجه البخاري، برقم ١٤٩٦. ومسلم، برقم ١٩.

(٣) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٥٨)، (ص (٨) وللاستزاده انظر العدد (٣٣)، (ص ٣٣٣).)والعدد (٤٥)، (ص (٢٣)، والعدد (٢٥٤)، (ص (٢٣)

"ومن وجبت عليه الزكاة فامتنع عن أدائها عالما بوجوبها جاحداً لفرضيتها فهو مرتد كافر مخلد في النار والعياذ بالله، ويدل لذلك قول الله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت: ٦ - ٧]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤ - ٣٥].

ومن السنة: قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللهِ**»(١). متفق عليه.

وما ورد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ، وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ، وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ**»(٢). الحديث. ثم ذكر صاحب الإبل وصاحب البقر والغنم، وذكر أنه يعذب بها يوم القيامة، وهذا تحديد شديد ووعيد

---

(١) أخرجه البخاري، برقم ٢٥. ومسلم، برقم ٢٢.

(٢) أخرجه مسلم، برقم ٩٨٧.

عظيم يدل على أن مانع الزكاة على خطر عظيم، وأن ماله يكون شراً ووبالاً عليه في الدنيا والآخرة.

وما ورد عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ[(١)]، لَهُ زَبِيبَتَانِ[(٢)]، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَيْهِ، يَعْنِي شِدْقَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠]»[(٣)].

فكل مال لا تؤدى زكاته فهو كنز يعذب به صاحبه.

وقد حدث في عهد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخليفة الراشد الأول أن كفر بعض قبائل العرب فامتنعوا عن أداء الزكاة، فعزم أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على قتالهم، فقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللهِ»** فَقَالَ أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "وَاللهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عَنَاقًا

---

(١) الشجاع: الحية الذكر، والأقرع: الذي انحسر الشعر عن رأسه من كثرة سمه، أو تمعط جلد رأسه لكثرة سمه وطول عمره (شرح السنة، للبغوي، ٤٧٩/ ٥).

(٢) زبيبتان: النكتتان السوداوان فوق عينه، وهو أوحش ما يكون من الحيات وأخبثه (شرح السنة، للبغوي، (٤٧٩/ ٥).

(٣) أخرجه البخاري، برقم ١٤٠٣.

كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهَا". قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَدْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ".(١).

أما من امتنع عن أداء الزكاة بخلاً بها وتهاونا ولم يجحد وجوبها: فإنه آثم، وقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب، وعرض نفسه لعذاب اللّه وعقابه وسخطه وتؤخذ منه الزكاة قهرا، كدَين الآدمي؛ بل هو أولى منه؛ لأنها حق الله تعالى لا تبرأ الذمة إلا بأدائها ولو بعد الموت"(٢).

وبناء على ما تقدم: تتبين خطورة الامتناع عن أداء الزكاة، فالواجب على الداعية إلى الله ترغيب من وجبت عليه الزكاة بأدائها وترهيبه من مغبة الامتناع عن ذلك؛ فإنه من أسباب تلف المال ومحق بركته في الدنيا، والوعيد الشديد في الآخرة بالعذاب الأليم، كما دلت على ذلك الأدلة التي ذكرها سماحة الشيخ - حفظه الله.

ثالثاً: دعوة الناس لمعرفة أحكام الزكاة:

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ - مبيناً شروط وجوب الزكاة-:

"ويشترط لوجوب الزكاة خمسة شروط الأول: الإسلام، فلا تجب على الكافر. الثاني: الحرية، فلا تجب الزكاة على العبد؛ لأن ماله مال سيده والسيد

---

(١) أخرجه البخاري، برقم ١٤٠٠. ومسلم، برقم ٢٢.

(٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد(٥٨)،(ص(١١) وللإستزاده انظر العدد(٣٣)،(ص ٣٣٣) والعدد(٨٥)،(ص(٦٦).

يزكي ما في يده عبده الثالث: ملك النصاب، وقد حددت السنة المطهرة مقدار نصاب كل مال من الأموال التي تجب فيها الزكاة، فلا زكاة فيما دون النصاب. الرابع: الملك التام، بمعنى استقرار الملك. الخامس: مضي الحول، إلا في الخارج من الأرض! "(١).

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ موضحا الأصناف التي تجب فيها الزكاة وأنصبتها: "والزكاة تجب في أربعة أصناف: الخارج من الأرض من الحبوب والثمار، والسائمة من بهيمة الأنعام، والذهب والفضة، وعروض التجارة.

ولكلٍّ من هذه الأصناف الأربعة نصاب محدود لا تجب الزكاة فيما دونه، فنصاب الحبوب والثمار خمسة أوسق، والوسق ستون صاعا بصاع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فيكون مقدار النصاب بصاع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من التمر والزبيب والحنطة والأرز والشعير ونحوها ثلاثمائة صاع بصاع النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وهو أربع حفنات بيدي الرجل المعتدل الخلقة إذا كانت يداه مملوءتين. والواجب في ذلك العشر إذا كانت النخيل والزروع تسقى بلا كلفة كالأمطار والأنهار والعيون الجارية ونحو ذلك، أما إذا كانت تسقى بمؤونة وكلفة كالسواني والمكائن الرافعة للماء ونحو ذلك فإن الواجب فيها نصف العشر كما صح الحديث بذلك عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

وأما نصاب السائمة من الإبل والبقر والغنم ففيه تفصيل مبين في الأحاديث الصحيحة عن رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وفي استطاعة الراغب في معرفته سؤال أهل العلم عن ذلك، ولولا قصد الإيجاز لذكرناه لتمام الفائدة.

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٥٨)، (ص ١٢).

وأما نصاب الفضة فمائة وأربعون مثقالا، ومقداره بالدراهم العربية السعودية ستة وخمسون ريالا، ونصاب الذهب عشرون مثقالا، ومقداره من الجنيهات السعودية أحد عشر جنيها وثلاثة أسباع الجنيه، وبالغرام اثنان وتسعون غراما والواجب فيهما ربع العشر على من ملك نصابا منهما أو من أحدهما وحال عليه الحول، والربح تابع للأصل فلا يحتاج إلى حول جديد، كما أن نتائج السائمة تابع لأصله فلا يحتاج إلى حول جديد إذا كان أصله نصابا.

وفي حكم الذهب والفضة الأوراق النقدية التي يتعامل بها الناس اليوم سواء سميت درهما أو دينارا أو دولارا أو غير ذلك من الأسماء إذا بلغت قيمتها نصاب الفضة أو الذهب وحال عليها الحول وجبت فيها الزكاة."(١).

رابعاً: أهم الدعائم التي تحقق للداعي إلى الله حسن الدعوة لأداء الزكاة لمن وجبت عليه.

١-أن يتفقه الداعي إلى الله في أحكام الزكاة معتمداً على الكتب الفقهية، أخذاً بالقول الراجح في المسائل الخلافية دون تعصب لأحد من الأئمة رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ، ثم يبث ذلك بين الناس مفصلا أحكامها، كما يوجه الناس إلى الاهتمام بها وإعطائها مستحقيها الذين قال الله فيهم: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾[التوبة: ٦٠].

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٣٣)، (ص ٣٣٥). وللاستزادة عن أحكام الزكاة انظر: العدد (٣٧)، (ص ١٦٨)، العدد (٥٨)، (ص ١٢ ص ٦٥)، والعدد (٤٤)، (ص ١٦٤ -(١٧٣)، والعدد (٦٥٦)، (ص ١٠٩ - ١١٤).

المبحث الثالث: صوم رمضان



صوم رمضان هو الركن الرابع من أركان الإسلام، وشهر رمضان شهر مبارك يجزل الله فيه العطاء، وتفتح فيه أبواب الجنة لكل راغب، وتغلق فيه أبواب النار، وتصفد فيه مردة الشياطين فيه ليلة هي خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم، شهر تضاعف فيه الحسنات وتقال فيه العثرات أمر الله الناس بصيامه كما قال سبحانه: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

والصوم في اللغة: هو الإمساك، ومنه قوله تعالى: ﴿فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٦]، ويقال: (صامت الخيل): إذا أمسكت عن السير، و(صامت الريح): إذا أمسكت عن الهبوب.(١).

وأما شرعا: فهو التعبد الله بالإمساك عن المفطرات، من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس.(٢).

أولاً: بيان فضل صيام رمضان وقيامه:

كتب سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله النصيحة الموجزة لكل من يطلع عليها من المسلمين، إذ قال: "من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى من يراه من المسلمين، سلك الله بي وبهم سبيل أهل الإيمان، ووفقني وإياهم للفقه

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، ١٢/ ٣٥٠.

(٢) المغني، لابن قدامة، ٤/ ٣٢٥.

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مبيناً عذاب من أفطر يوماً منه: «**بينا أنا نائمٌ أتاني رجلان فأخذ بضَبعي**[(١)] **فأتيا بي جبلًا وعرًا فقالا اصعَدْ فقلتُ إنِّي لا أُطيقُه فقال إنَّا سنُسهِّلُه لك فصعِدتُ حتَّى إذا كنتُ في سواءِ الجبلِ إذا بأصواتٍ شديدةٍ قلتُ ما هذه الأصواتُ قالوا هذا عُواءُ**[(٢)] **أهلِ النَّارِ ثمَّ انطلق بي فإذا أنا بقومٍ معلَّقين بعراقيبِهم**[(٣)] **مشقَّقةٌ أشداقُهم**[(٤)] **تسيلُ أشداقُهم دمًا قال قلتُ من هؤلاء قال الَّذين يُفطِرون قبل تَحِلَّةِ صومِهم**»[(٥)].

❖ ثالثاً: دعوة المسلمين لصون صيامهم عما حرم الله عليهم ومعرفة أحكام الصيام:

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ: "ويجب على المسلم أن يصون صيامه وقيامه عما حرم الله عليه من الأقوال والأعمال، لأن المقصود بالصيام هو طاعة الله سبحانه وتعظيم حرماته وجهاد النفس على مخالفة هواها في طاعة مولاها، وتعويدها الصبر عما حرم الله، وليس المقصود مجرد ترك الطعام والشراب وسائر المفطرات، ولهذا صح عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: "**الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ،**

---

(١) وسط الذراع ويقال للضبط ضبع للمجاورة. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ص ٥٢٩.
(٢) أي: صراخ. المرجع السابق، (ص ٦٤١).
(٣) جمع عرقوب وهو الوتر الذي خلف الكعبين، المرجع السابق، (ص ٥٩٦).
(٤) الأشداق: جوانب الفم المرجع السابق، (ص ٤٦٤).
(٥) أخرجه ابن حبان، برقم ٧٤٩١، وابن خزيمة، برقم ١٩٨٦، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٩٩١).

ومن ذلك: ما قد يعرض للصائم من تأخير غسل الجنابة إلى طلوع الفجر، وما يعرض لبعض النساء من تأخير غسل الحيض أو النفاس إلى طلوع الفجر، إذا رأت الطهر قبل الفجر فإنه يلزمها الصوم، ولا مانع من تأخيرها الغسل إلى ما بعد طلوع الفجر ولكن ليس لها تأخيره إلى طلوع الشمس بل يجب عليها أن تغتسل وتصلي الفجر قبل طلوع الشمس، وهكذا الجنب ليس له تأخير الغسل إلى ما بعد طلوع الشمس بل يجب عليه أن يغتسل ويصلي قبل طلوع الشمس، ويجب على الرجل المبادرة بذلك حتى يدرك صلاة الفجر مع الجماعة.

ومن الأمور التي لا تفسد الصوم: تحليل الدم، وضرب الإبر غير التي يقصد بها التغذية لكن تأخير ذلك إلى الليل أولى وأحوط إذا تيسر ذلك"[١].

رابعاً: أهم الدعائم التي تحقق للداعي إلى الله حسن الدعوة لصيام رمضان وما يتعلق به.

١- أن يجتهد الداعي إلى الله بالتفقه في أحكام الصيام ثم يقوم بتعليم الناس وتفقيههم ذلك.

٢- أن يكون قدوة حسنة في صيامه فيصونه عما حرم الله ولى عليه وكذلك يدعو الناس لصيانة صيامهم عن الأقوال والأعمال التي تؤثر عليه كالغيبة والنميمة وغيرها، والتي تشتد حرمتها في نهار رمضان الشرف الزمان.

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٣٢)، (ص ٣١٧) وللاستزادة حول أحكام الصيام الظر مثلاً العدد (٤٥)، (ص ٢٥) وما بعدها، والعدد (٤٩)، (ص) وما بعدها، والعدد (٥٤)، (ص ٢٦) وما بعدها، والعدد (٢٣) (ص ١١٣ ١١٥)، والعدد (٤٢))ص ١٣٥-١٤٨) والعدد (٢٤)، (ص ١٠١)، والعدد (٣٥)، (ص ٩٤-٩٥).

المبحث الرابع: الحج



لا ريب أن الحج من أفضل الطاعات وأجل القربات التي يتقرب بها المسلم إلى ربه تعالى، بل هو الركن الخامس من أركان الإسلام، فرضه الله سبحانه مرة واحدة في العمر مع الاستطاعة قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ**»[١].

والحج في اللغة هو القصد.[٢].

وأما شرعا فهو التعبد بأداء المناسك على ما جاءت به السنة.[٣].

أولاً: بيان وجوب الحج على كل مسلم استكمل شروطه:

وفي هذا قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ: "والحج - أيها الإخوة في الله واجب على كل مسلم استكمل شروطه بل هو أحد أركان الإسلام ودعائمه، لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ**».

وذكر منها: «**وَحَجِّ بَيْتِ الْحَرَام**"[٤].

---

(١) أخرجه البخاري، برقم ٨.
(٢) لسان العرب لابن منظور، (٢٢٦/ ٢)، ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس، (ص ٢٨٠).
(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع، لابن عثيمين، ٧/ ٧.
(٤) أخرجه البخاري، برقم ٨.



٣-أن يحذر لداعي إلى الله من المظاهر السيئة التي اعتادوها في شهر رمضان كالإسراف والمفاخرة بأنواع الأطعمة والأشربة، وكذلك اعتياد السهر على اللهو والباطل وغيرها من المظاهر السيئة.

٤-أن يجتهد الداعي إلى الله في هذا الشهر بعقد الدروس والكلمات التي تبين فضل شهر رمضان وأحكامه، وكذلك توزيع الكتيبات والمطويات التي تبين أحكام الصيام والقيام.

٥-أن يدرك الداعي إلى الله الفوائد والآثار التربوية العظيمة لصيام شهر رمضان، ويدعو الناس لمعرفتها وإدراكها، ومن تلك الفوائد والآثار: ما نص عليها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذ قال: "أما الصوم فكلكم يعلم ما فيه من الخير العظيم والمصالح الكبيرة التي منها: تطهير النفس من أشرها وبطرها وشحها وبخلها وكبرها، ومن ذلك أن الصائم يعرف بالصيام حاجته وضعفه وشدة ضرورته إلى ما أباح الله من الطعام والشراب وغيرهما، ومنها تذكير العبد بإخوانه الفقراء والمحاويج حتى يواسيهم ويحسن إليهم، ومنها تمرين العبد على مخالفة الهوى وتعويده الصبر على ما يشق على النفس إذا كان في ذلك طاعة ربه ورضاه، فالصائم في الصيام يخالف هواه ويجاهد نفسه ويعودها الصبر عما يوافق هواها من مأكل ومشرب ومنكح في طاعة ربها ومولاها عَزَّوَجَلَّ. وفي الصوم من الفوائد والحكم والأسرار ما لا يحصيه إلا الله عَزَّوَجَلَّ"(١).



(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٤٥)، (ص ٢٤).

وقد أوجبه الله على عباده بقوله سبحانه: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

ووجوبه ثابت بإجماع المسلمين ومعلوم بالضرورة من الدين، فمن جحد وجوبه كفر. ووجوبه مرة في العمرة الحديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: خطبنا رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: «**إن الله كتب عليكم الحج**» فقام رجل فقال: أبي كل عام يا رسول الله؟ قال: «**لو قلتها لوجبت الحج مرة فما زاد فهو تطوع**»(١) رواه الخمسة إلا الترمذي، وأصله في مسلم من حديث أبي هريرة "(٢).

ثانياً: بيان فضائل الحج:

للحج فضائل عديدة، جاء بيانها في نصوص الكتاب والسنة. قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ: "وفضائل الحج كثيرة قد وردت بها النصوص، فمنها الآية المتقدمة(٣)، ومنها قوله في الحديث الذي رواه أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حين «سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: **إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ**. قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: **جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللهِ**. قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ:

---

(١) أخرجه مسلم، برقم ١٣٣٧ بدون زيادة (الحج مرة فما زاد فهو تطوع وأخرج الحديث بهذه الزيادة أبو داود، برقم ١٧٢١. والنسائي، برقم ٢٦٢١. وابن ماجه، برقم ٢٨٨٦. قال الحاكم (إسناده صحيح)، ١/٤٤١.

(٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٥٩) (ص (١١) وانظر العدد (٤٥)، (ص ٢٤). والعدد)٤٦)، (ص ٨(

(٣) وهي قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ﴾ [الحج: ٢٧]

حَجٌّ مَبْرُورٌ».[١] متفق عليه، وحين قالت عائشة لها: «يَا رَسُولَ اللهِ، **نَرَى الْجِهَادَ أَفْضَلَ الْعَمَلِ، أَفَلَا نُجَاهِدُ؟ قَالَ: لَا، لَكِنَّ أَفْضَلَ الْجِهَادِ حَجٌّ مَبْرُورٌ»**.[٢] رواه البخاري. واختلفت عبارات السلف في تفسير الحج المبرور، فمنهم من قال: الذي لا يخالطه إثم، ومنهم من قال: الذي لا رياء فيه ولا سمعه ولا رفت ولا فسوق، وقيل: الذي لا معصية بعده، يجمعها أنه الذي يؤدى تقرباً الله وطاعة له، خالصاً من أدران الشرك صغيره وكبيره والبدع والمعاصي، ويكون حاملاً لصاحبه على إحسان العمل بعده.

ومن كانت هذه صفة حجة كان مقبولاً مأجوراً، يقول: **«مَنْ حَجَّ لِلهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»**[٣]. متفق عليه، وفي رواية المسلم: **«مَنْ أَتَى هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»**[٤]. الحديث، وهذه الرواية أعم من التي قبلها،

(والرفث) قال ابن عباس وابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: إنه الجماع، (والفسوق) قالا: إنه المعاصي **«وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةَ»**[٥]. صح ذلك عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخرجاه في الصحيحين "[٦].

---

(١) أخرجه البخاري، برقم ١٥١٩.

(٢) أخرجه البخاري، برقم ١٥٢٠.

(٣) أخرجه البحاري، برقم ١٥٢١. ومسلم، برقم ١٣٥٠.

(٤) المصدر السابق.

(٥) أخرجه البخاري، برقم ١٧٧٣. ومسلم، برقم ١٣٤٩.

(٦) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٥٩)، (ص ١٠) وانظر العدد (٥٤)، (ص ٢٦. والعدد (٥)) ص ٢٤).



ثالثاً: إيضاح أحكام الحج وصفته:

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ - موضحا شروط الحج وصفته الشرعية: "وشروط الحج خمسة: الإسلام، والعقل، والبلوغ والحرية، والاستطاعة (وهي الزاد والراحلة)، وتزيد المرأة: وجود المحرم.

وينبغي للمسلم إذا أراد الحج وعزم على السفر أن يوصي أهله بتقوى الله، وأن يتخلص مما عليه من حقوق الناس، أو يكتب ما له وما عليه ويشهد على ذلك، ثم أيضا يجب عليه التوبة إلى الله، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] وعند تجرد العبد من ثيابه ولبسه لإحرامه واستعداده لأداء المناسك ينبغي أن يتذكر بذلك الموت والاستعداد له وما يكون بعده.

وعند إهلاله بالإحرام يجب عليه أن يجرد نيته الله، ولا ينو بحجه عرضا من الدنيا فإنها متاع زائل، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥ - ١٦].

وهذا واجب في كل العبادات ومنها الحج.

وبعد إهلاله بالإحرام ينطلق إلى البيت الحرام ويطوف بالكعبة، وهذا الطواف طواف العمرة للمتمتع وطواف القدوم للقارن والمفرد.

وبعد السعي في حق المتمتع يحلق شعره أو يقصر، ثم يحل إحرامه.

وفي يوم التروية وهو اليوم الثامن من ذي الحجة يذهب الحجاج إلى منى، ويحرم المتمتع بالحج، ويبيتون تلك الليلة بمنى استحباباً، ثم ينطلق في اليوم التاسع إلى عرفة بعد طلوع الشمس، ويبقون بها، ويخطب بهم الإمام أو نائبه بعد الزوال، ويصلون الظهر والعصر قصرا وجمعا، ثم يتفرغون لذكر الله ودعائه إلى الغروب، وهذا الموطن من المواطن العظيمة التي يباهي الله بالحجاج ملائكته فيوم عرفة يوم مشهود؛ ففي صحيح مسلم من حديث عائشة لها أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ**»(١).

فينبغي للحاج أن يكثر من الذكر والدعاء وخاصة قول: (**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**).

وبعد الغروب ينطلق الحجاج إلى مزدلفة، فإذا وصلوها صلوا بها المغرب والعشاء: المغرب ثلاث ركعات والعشاء ركعتين جمعا بأذان وإقامتين، ويبيت الحجاج بها تلك الليلة، ويجوز للضعفة من النساء والصبيان ونحوهم الدفع إلى منى آخر الليل أما غيرهم فيقيمون بها إلى صلاة الفجر، وبعد الصلاة يقفون عند المشعر الحرام، ويستقبلون القبلة، ويكثرون من ذكر الله وتكبيره والدعاء إلى أن يسفروا جدا، ثم يذهبون إلى منى فيرمون جمرة العقبة، ثم يذبح المتمتع والقارن هديه، ثم يحلقون رؤوسهم، ويتوجهون إلى مكة ويطوفون بالبيت طواف الإفاضة، ثم يعودون إلى منى ليبيتوا بها. وفي اليوم الحادي عشر بعد الزوال يبدأ

---

(١) أخرجه مسلم، برقم ١٣٤٨.

ثانياً: بيان وجوب صيام رمضان:

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وقد أخبر الله -سبحانه- في كتابه العزيز أنه كتب علينا الصيام كما كتبه على من قبلنا، وأوضح سبحانه أن المفروض علينا هو صيام شهر رمضان، وأخبر نبينا صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن صيامه هو أحد أركان الإسلام الخمسة، قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣ - ١٨٤] إلى أن قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وفي الصحيحين عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ»(١)"(٢).

وعلى ضوء ما تقدم فإن على الداعية إلى الله أن يبين للناس وجوب صيام رمضان ويُحذِّرُهم من مغبة إفطار يوم منه بلا عذر شرعي؛ فقد قال

---

(١) أخرجه البخاري، برقم ٨.

(٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٣٢)، (ص ٣١٥).

في السنة والقرآن... آمين.... فهذه نصيحة موجزة تتعلق بفضل صيام رمضان وقيامه وفضل المسابقة فيه بالأعمال الصالحة ثبت عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه كان يبشر أصحابه بمجيء شهر رمضان، ويخبرهم عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أنه شهر تفتح فيه أبواب الرحمة وأبواب الجنة، وتغلق فيه أبواب جهنم، وتُغَلّ فيه الشياطين «**إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ**»[(١)]. ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[(٢)].... ويقول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يَقُولُ اللّهُ كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ**»[(٣)][(٤)].

وبناء على هذه النصيحة القيمة من سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ: فإن على الداعية إلى الله أن يكون قدوة حسنة لغيره فيدرك فضائل صيام شهر رمضان وقيامه، ويكون من أوائل المحافظين على أداء الصيام والقيام على الوجه الذي أمر الله به على وأمر به رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن ثم عليه أن يدعو الناس إلى معرفة هذه الفضائل العظيمة لشهر الصيام والقيام لتكون أكبر دافع لهم نحو الاجتهاد فيه بالأعمال الصالحة.

---

(١) أخرجه البخاري، برقم ١٨٩٨. ومسلم، برقم ١٠٧٩، واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري، برقم ١٩٠١.

(٣) أخرجه البخاري، برقم ١٩٠٤. ومسلم، برقم ١١٥١. واللفظ له.

(٤) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٣٤)، (ص ٣١٧)، وانظر: العدد (٣٢)، (ص ٣١٥)، والعدد (٤٥)، ص ٢٤. والعدد (٤٩)، ص٨.

ومنها: تطهير النفس وتزكيتها، والبعد بها عن خلق الشح والبخل، كما أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

ومنها: تعويد المسلم صفة الجود والكرم والعطف على ذي الحاجة.

ومنها: استجلاب البركة والزيادة والخلف من الله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩][(١)].

٤-أن يجتهد الداعي إلى الله بتوجيه الآباء والأمهات بالاهتمام بأبنائهم وتربيتهم على حب الفقراء والمساكين والرحمة بهم والعطف عليهم، وغرس ذلك في نفوسهم، وتدريبهم عملياً، وذلك بمشاركتهم أثناء دفع الزكاة لمستحقيها، فيتعلم من ذلك الأبناء روح التواد والتراحم والتعاطف.



(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٣٣)، (ص ٣٣٤).

وأنها لا تجوز فيها المحاباة لأحد أو طلب الأغراض الدنيوية بها. قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والزكاة حق الله، لا تجوز المحاباة بها لمن لا يستحقها ولا أن يجلب الإنسان بما لنفسه نفعاً أو يدفع ضرا، ولا أن يقي بها ماله أو يدفع بها عنه مذمة، بل يجب على المسلم صرف زكاته لمستحقيها لكونهم من أهلها لا لغرض آخر مع طيب النفس بها والإخلاص لله في ذلك حتى تبرأ ذمته ويستحق جزيل المثوبة والخلف ".(١).

٢- أن يوجه الداعي إلى الله المستحق للزكاة بأن يحمد الله ويشكره على نعمة إيجاب الزكاة التي كفته همَّ الجوع والفقر والحاجة، ويشكر من أعطاه الزكاة ويثني عليه ويدعو له بالخلف وسعة الرزق.

ويوجهه أيضا بأن لا يأخذ منها أكثر من حاجته، وأن لا يتخذ المسألة وسيلة لزيادة أمواله، ويحذره بما ورد من الوعيد الشديد لمن سأل الناس دونما بأس، فقد قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«مَنْ سَأَلَ النَّاسَ أَمْوَالَهُمْ تَكَثُّرًا، فَإِنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا فَلْيَسْتَقِلَّ، أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ»**(٢).

٣- أن يبين الداعي إلى الله للناس الفضائل العظيمة والآثار الحميدة لفرضية الزكاة، قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وفرض الزكاة على المسلمين من أظهر محاسن الإسلام ورعايته لشئون معتنقيه لكثرة فوائدها ومسيس حاجة فقراء المسلمين إليها، فمن فوائدها: تثبيت أواصر المودة بين الغني والفقير، لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها.

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٣٣)، (ص ٣٣٧).

(٢) أخرجه مسلم، برقم ١٠٤١.

فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ»(١). وصح عنه ﷺ أنه قال: **«مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»**(٢).

فعلم بهذه النصوص وغيرها أن الواجب على الصائم الحذر من كل ما حرم الله عليه، والمحافظة على كل ما أوجب الله عليه، وبذلك يرجى له المغفرة والعتق من النار وقبول الصيام والقيام.

وهناك أمور قد تخفى على بعض الناس منها: أن الواجب على المسلم أن يصوم إيماناً واحتساباً، لا رياء ولا سمعة ولا تقليداً للناس أو متابعة لأهله أو لأهل بلده، بل الواجب عليه أن يكون الحامل له على الصوم هو إيمانه بأن الله قد فرض عليه ذلك، واحتسابه الأجر عند ربه في ذلك، وهكذا قيام رمضان؛ يجب أن يفعله المسلم إيماناً واحتساباً لا لسبب آخر، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: **«مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»**(٣).

ومن الأمور التي قد يخفى حكمها على بعض الناس: ما قد يعرض للصائم من جراح أو رعاف أو قيء أو ذهاب الماء أو البنزين إلى حلقه بغير اختياره، فكل هذه الأمور لا تفسد الصوم ولكن من تعمد القيء فسد صومه، لقول النبي ﷺ: **«من ذرعَهُ القيءُ فليس عليه قضاءٌ، ومن استقاءَ عمدًا فليقضِ»**(٤).

---

(١) أخرجه البخاري، برقم ١٨٩٥.

(٢) أخرجه البخاري، برقم ١٩٠٣.

(٣) أخرجه البخاري، برقم ١٩٠١.

(٤) أخرجه أبو داود، برقم ٢٣٨٠. والترمذي، برقم ٧٢٠. وابن ماجة، برقم ١٦٧٦. قال الحاكم في المستدرك على الصحيحين: (١/ ٥٨٩): "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه "وصححه الألباني في إرواء الغليل برقم ٩٣٠.

وقت الرمي، فيرمي الحاج الجمرة الصغرى ثم الوسطى ثم الكبرى كل واحدة بسبع حصيات، ويبيت بمنى تلك الليلة، ويفعل في اليوم الثاني عشر كما فعل في اليوم الذي قبله ويبيت بمنى تلك الليلة من أراد التأخر، أما المتعجل فعليه أن يخرج من منى قبل غروب الشمس.

فإذا أنهى الحاج أعمال الحج وجب عليه طواف الوداع متى أراد مغادرة مكة"[(١)].

ومن خلال ما تقدم يتبين أن الحج عبادة جليلة ومدرسة إيمانية عظيمة، يتلقى فيها المسلمون الدروس العظيمة والفوائد النفسية والعبر النافعة في شتى المجالات وفي جميع أبواب الدين.

رابعاً: أهم الدعائم التي تحقق للداعي إلى الله حسن الدعوة لحج بيت الله الحرام.

١- على الداعي إلى الله أن يجتهد تمام الاجتهاد في التفقه في أحكامه، ومعرفة هدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحج وكيفية أدائه لمناسكه؛ ليسلك منهجه وليسير على طريقته وليقتفي أثره، وليأخذ عنه مناسكه.

وحري به بعد ذلك أن يحث من استطاع الحج بالمبادرة إلى أدائه ذاكراً لهم فضائله وآثاره العظيمة.

وعليه أيضا أن يفصل أحكام الحج ويبينها لهم معتمداً على أدلة الكتاب والسنة وما قرره أهل العلم.

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٥٩)، (ص ١٤، وانظر العدد (٤٦)، (ص ٩).

٢- أن يذكر الداعي إلى الله الناس بأن المقصود الأعظم من الحج هو تحقيق التقوى وما يحصل في القلب ويقوم به من معاني العبودية والخضوع والانقياد لأمر الله وتعظيم شعائره، يقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢] وهذا يستلزم إخلاص العبادات الله وحده لا شريك له، فالمسلم أول ما يبدأ حجه به هو إعلان التوحيد ونبذ الشرك قائلا: (لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ، وَالنِّعْمَةَ، لَكَ وَالْمُلْكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ)، يقولها ويرفع بها صوته، وهو في الوقت نفسه مستشعر ما دلت عليه من وجوب إفراد الله وحده بالعبادة والبعد عن الشرك، فكما أن الله متفرد بالنعمة والعطاء لا شريك له، فهو متفرد بالتوحيد لا ندله، فلا يدعى إلا الله، ولا يتوكل إلا على الله، ولا يستغاث إلا به، ولا يصرف أي نوع من أنواع العبادة إلا له سبحانه.

٣- أن يذكر الداعي إلى الله الحجاج باجتناب المظاهر السيئة في الحج كالحرص على إتيان بعض الآثار والتبرك والتمسح بها، وكالشقاق والجدال فيما لا فائدة فيه.

وإرشادهم أيضاً لإدراك الفوائد التربوية للحج، قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز نقاله ذاكراً بعض هذه الفوائد: "ويأتي دور الحج حيث يلتقي المسلمون من أطراف الأرض الواسعة فيتعاونون ويتحابون ويتدارسون أمور دينهم، وهذا اللقاء فرصة التقارب المسلمين وإزالة ما علق بالأذهان من تنافر وتباعد، وهو مناسبة للالتقاء على صراط الله المستقيم ومنهجه السليم.

الفصل الثالث:
مجال الأخلاق وكيفية الدعوة إليها

المبحث الأول: تعريف الأخلاق وبيان مكانتها.

المبحث الثاني: بيان جملة من الأخلاق الحسنة وجملة من الأخلاق السيئة.

المبحث الأول: تعريف الأخلاق وبيان مكانتها.



إن أمر الأخلاق في دعوة الإسلام عظيم شأنها عالية مكانتها، بلغ بها الحال في الاهتمام والكمال أن مهمة بعثة نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد تقرير الوحدانية وترسيخ الجذور الإيمانية هو تهذيب الأنفس البشرية، وإصلاح سلوك الإنسانية، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخْلَاقِ**»[١].

أولاً: الأخلاق في اللغة: جمع خلق، ويطلق على معان هي: الدين والطبع والسجية.[٢].

وأما في الاصطلاح: فعرفت بتعريفات عدة، ومن أفضل تلك التعريفات: ما قاله الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: "هي أوصاف الإنسان التي يعامل بها غيره، وهي محمودة و مذمومة، فالمحمود على الإجمال أن تكون مع غيرك على نفسك؛ فتنصف منها وتنصف لها، وعلى التفصيل العفو والحلم والجود والصبر وتحمل الأذى والرحمة والشفقة وقضاء الحوائج والتواد ولين الجانب، ونحو ذلك، والمذموم منها ضد ذلك"[٣].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند، (٣٨١/ ٢) والبخاري في الأدب والمفرد برقم ٢٧٤. والحاكم في المستدرك، (٦١٣/ ٢) وقال: صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني في صحيح الجامع، برقم (٤١١٤).

(٢) لسان العرب لابن منظور، (٨٦/ ١٠)، ومعجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٢١٣/ ٢).

(٣) فتح الباري، لابن حجر، (٤٥٦/ ١٠).

ثانياً: بيان مكانة الأخلاق الحسنة في الإسلام وعظم أجرها.

لقد حظيت الأخلاق في الإسلام بمنزلة عالية ودرجة رفيعة وثواب عظيم من الله عَزَّوَجَلَّ ومن ذلك ما يأتي[(١)]:

١-وصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالخلق الحسن، فقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤]، وقال عنه البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحْسَنُ النَّاسِ خُلُقًا**»[(٢)].

٢-صاحب الخلق الحسن من أحب الناس إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأقربهم مجلساً منه يوم القيامة، فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

«**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ**[(٣)] **وَالْمُتَشَدِّقُونَ**[(٤)] **وَالْمُتَفَيْهِقُونَ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: «**الْمُتَكَبِّرُونَ**»[(٥)].

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٢٢)، (ص (٢٨٥) وما بعدها.

(٢) أخرجه مسلم، برقم ٢٣٣٧.

(٣) الثرثارون هم الذين يكثرون الكلام تكلفاً وخروجاً عن الحق.. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (ص ١١٩).

(٤) المتشدقون هم المتوسعون في الكلام من غير احتياط واحتراز المرجع السابق، (ص ٤٦٤).

(٥) أخرجه الترمذي، برقم ٢٠٢٣. وقال حديث حسن وابن حبان في صحيحه، برقم (٤٨٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ٣٢٩): إسناده جيد، وحسنه الألباني السلسلة الصحيحة برقم (٧٩١).



فالعالم يوجه ويبذل من علمه، والجاهل يسترشد ويسأل والشاك يستوضح حتى تتبين له الحقيقة التي تتفق مع حكم الله وتشريعه وسنة رسوله الكريم "[١].

٤- أن يرشد الداعي إلى الله الحجاج إلى تعظيم بيت الله الحرام ومعرفة قدره وحرمته، والتقيد بالأنظمة التي وضعتها الدولة السعودية - وفقها الله، وشكر هذه النعمة العظيمة، قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ - مبينا هذا الأمر في وصية له الحجاج بيت الله الحرام: "عظموا هذا البلد الحرام، واعرفوا له قدره وحرمته، وإياكم والسعي فيما يُخل بأمنه أو يعكر صفو هذه الشعيرة العظيمة، فإن هذا من أعظم الجرم، وقد توعد الله من هم بذلك ونحوه بالعذاب الأليم، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ [الحج: ٣٢] هذا في حق من أراد ولم يفعل، فكيف بمن فعل والعياذ بالله - ؟.

ثم ينبغي لكم - حجاج بيت الله التقيد بالأنظمة التي وضعتها الدولة؛ لأنها إنما وضعت للمصلحة العامة، تسهيلا لضيوف بيت الله، حتى يؤدوا مناسكهم بيسر وسهولة، آمنين مطمئنين، فعلينا جميعاً التعاون مع المسؤولين بالالتزام بهذه الأنظمة وعدم الإخلال بها".



---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٧)، (ص ١٥٤).

٣-أن حسن الخلق أثقل الأعمال في ميزان العبد يوم القيامة، لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا شَيْءٌ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ، وَإِنَّ اللهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيءَ**»(١).

٤- أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس بحسن الخلق؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»(٢).

٥-أن حسن الخلق من أكثر ما يدخل الجنة، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سئل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: «**تَقْوَى اللهِ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ**»(٣).

04-03-26



(١) أخرجه أبو داود، برقم ٤٧٩٩، والترمذي، برقم ٢٠٠٧. وقال حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، برقم (٢٦٤١).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١٥٣/ ١)، والطبراني في المعجم الكبير، برقم (٢٩٧)، وحسنه الغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (٢٦٥٥)، والترمذي، برقم ١٩٩٢. وقال حديث حسن صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي، برقم ٢٠٠٩. وقال حديث صحيح، والبيهقي في شعب الإيمان، برقم (٥٧٥٦)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين، (٣٦٠/ ٤)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم (٩٧٧).

المبحث الثاني:
بيان جملة من الأخلاق الحسنة وجملة من الأخلاق السيئة.



قد علمنا من خلال تعريف الأخلاق أنها دائرة بين الحسن والقبح، فإما أن تكون أخلاقاً حسنة، أو أخلاقاً قبيحة؛ لأن الخلق اسم لما هو كامن في النفس من قوة راسخة تنزع بها إلى اختيار ما هو خير وصلاح، أو إلى اختيار ما هو شر وجور، فإن نزعتها إلى اختيار الخير والصلاح سميت (أخلاقاً حسنة)، وإن نزعتها إلى الشر والجور سميت أخلاقاً قبيحة)، وتحت كل نوع من هذين أفراد كثيرة.

ومن هنا فهناك جملة من الأخلاق الحسنة كالإخلاص والصدق والأمانة والصبر والرفق واللين والتواضع والرحمة والجود والكرم وغيرها من الأخلاق الحسنة، وقد أفردت هذه الأخلاق وأهميتها للداعي إلى الله في (**مقومات الداعي إلى الله**) وفي (**الموجز في الدعوة إلى الله**)، فلتراجع هناك.

ثالثاً: تحذير الناس من الأخلاق السيئة مع بيان جملة منها.

إن الحديث عن سيء الأخلاق: نهياً وتحذيراً وذماً إجمالاً وتفصيلاً، هو أمر للمسلمين بالتخلي عن مساوئ الأخلاق ولزوم محاسنها إجمالاً وتفصيلاً؛ لأن النهي عن الشيء هو أمر بضده، كما أن الأمر بالشيء نهي عن ضده.

ولقد حذرت الشريعة الإسلامية من سلوك الأخلاق السيئة لما تفرزه من آثار قبيحة على الفرد والمجتمع كالغيبة والنميمة والكذب والظلم والحسد والحقد وعقوق الوالدين والبخل والشح والاحتيال وتناول المسكرات وغيرها من الأخلاق السيئة.

١- الغيبة:

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً أنها من كبائر الذنوب ومن أسباب الشحناء والعداوة، كما جاء ذلك في فتوى له، إذ قال: "الغيبة محرمة بإجماع المسلمين، وهي من الكبائر سواء كان العيب موجوداً في الشخص أم غير موجود؛ لما ثبت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال لما سُئل عن الغيبة، قال: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ» قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ»(١).

وثبت عنه أنه رأى ليلة أسري به قوماً لهم أظْفَارٌ من نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُم، فسأل عنهم، فقيل له: هؤلاء الذين يَأْكُلُونَ لحُوم الناس، ويَقَعُون في أعْرَاضِهم»(٢).

وقد قال الله – سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

فالواجب على كل مسلم ومسلمة الحذر من الغيبة والتواصي بتركها، طاعة الله سبحانه ولرسوله، وحرصاً من المسلم على ستر إخوانه وعدم إظهار عوراتهم، ولأن الغيبة من أسباب الشحناء والعداوة وتفريق المجتمع "(٣).

---

(١) أخرجه مسلم، برقم ٢٥٨٩.

(٢) أخرجه البخاري، برقم ٦٠٩٦.

(٣) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٤٩)، (ص ١١٦). وانظر العدد (٥٢)، (ص ١٦٣).

٢ - الكذب:

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبدالله آل الشيخ: "لا شك أن الكذب صفة دميمة تدل على ضعف الإيمان، بل هو من آية أهل النفاق، كما صح عنه أن من آية المنافق أنه «**إِذَا حَدَّثَ كَذِبَ**»[١]، ثم إن الكذب شر، ومآله إلى الشر، يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «... **وَإِيَّاكُمْ وَالْكِذْبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا**»[٢].

والواجب على المسلم تقوى الله والحذر من الكذب والترفع عنه"[٣].

٣- النميمة:

فمن الأخلاق السيئة والأوصاف الدنيئة اتصاف المرء بالنميمة. قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ وعدها من الأخلاق الذميمة، فقال رَحِمَهُ اللهُ: "مما ينبغي اجتنابه والابتعاد عنه والتحذير منه: (النميمة) التي هي نقل الكلام من شخص إلى آخر، أو من جماعة إلى جماعة، أو من قبيلة إلى قبيلة؛ لقصد الإفساد والوقيعة بينهم، وهي كشف ما يكره كشفه سواء أكره المنقول عنه أو المنقول إليه، أو كره ثالث، وسواء أكان ذلك الكشف بالقول أو الكتابة أو الرمز أو بالإيماء، وسواء أكان المنقول من الأقوال أو الأعمال، وسواء كان ذلك عيباً أو نقصاً في المنقول عنه أو لم يكن. فيجب أن يسكت الإنسان عن كل

---

(١) أخرجه البخاري، برقم ٦٠٩٥، ومسلم، برقم ١٠٧.

(٢) أخرجه البخاري، برقم ٦٠٩٤، ومسلم، برقم ٢٦٠٧.

(٣) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٦٠)، (ص ١٠٥).

ما يراه من أحوال الناس إلا ما في حكايته منفعة المسلم أو دفع لشر... وأدلة تحريم النميمة كثيرة من الكتاب والسنة، منها: قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]، وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ**»[١] متفق عليه... والنميمة من الأسباب التي توجب عذاب القبر، لما روى ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: **مَرَّ النَّبِيُّ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ**: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**»[٢]. متفق عليه. وإنما حرمت الغيبة والنميمة لما فيهما من السعي بالإفساد بين الناس، وإيجاد الشقاق والفوضى، وإيقاد نار العداوة والغل والحسد والنفاق، وإزالة كل مودة، وإماتة كل محبة "[٣].

٤- الحسد:

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومما يجب اجتنابه والبعد عنه: الخصلة الذميمة، ألا وهي الحسد، وهي أن يتمنى الإنسان زوال النعمة عن أخيه في الله - سبحانه سواء أكانت نعمة دين أو دنيا، وهذا اعتراض على ما قضاه الله وقسمه بين عباده وتفضل به عليهم، وظلم من الحاسد لنفسه، فينقص إيمانه بذلك ويجلب المصائب والهموم لنفسه، ويفتك بها فتكاً ذريعاً، قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۖ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٤].

---

(١) أخرجه البخاري، برقم ٦٠٥٦، ومسلم، برقم ١٠٥.
(٢) أخرجه البخاري، برقم ٢١٨، ومسلم، برقم ٢٩٢.
(٣) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٣٥)، (ص ٣٤٧).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**»[١]. رواه مسلم".[٢].

رابعاً: أهم الدعائم التي تحقق للداعي إلى الله حُسن الدعوة لمجال الأخلاق:

١-إدراك الداعي إلى الله مكانة الأخلاق وسمو منزلتها، فإذا كان كل مسلم مطالباً بأن يتحلى بالأخلاق الفاضلة والمعاملة الحسنة؛ فالداعي إلى الله مطالب بذلك من باب أولى؛ لأنه يحمل لواء الدعوة إلى الله، وهو قائم على دعوة الخلق بالحكمة والموعظة الحسنة، فأنظار الخلائق مرفوعة إليه، والخطأ منه أشد وأوقع، وهو محل النقد والنظر؛ كونه قدوةً ومثالاً يُهتَدَى به.

وتَخَلُّق الداعية بالأخلاق الحسنة مدعاة لقبول قوله وميل النفوس إليه ومحبته؛ لأن النفوس مجبولة على حب من حسُنَت أخلاقه وارتفعت آدابه، فمن لم يكن من ذوي الأخلاق الفاضلة والشيم الحميدة فلا يمكنه إصلاح أحد أو دعوته؛ لأن غاية الدعوة ومقصودها تبليغ شرائع الله وانتشار الفضيلة والقول الطيب، ومن حُرِم من مكارم الأخلاق كان تأثيره في الناس مضاداً لذلك تماماً، فهو بسوء خلقه يجعل الناس تنفر منه، وتتباعد عنه، وتجفو مجالسه، ولا تكترث لأقواله ونصائحه، وإن كان من أكثر الناس علماً وفصاحة وحسن بيان. قال سماحة الشيخ عبد الله بن حميد رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) أخرجه البخاري، برقم ٦٠٦٥. ومسلم، برقم ٢٥٦٤.

(٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٣٥)، (ص ٣٤٨).

"ذلك أن المقصود من الدعوة إلى الله: تبليغ شرائع الله إلى الخلق، ولا يتم ذلك إلا إذا مالت القلوب إلى الداعي وسكنت نفوسهم إليه، وذلك إنما يكون إذا كان الداعي رحيماً كريماً، يتجاوز عن ذنب المسيء ويعفو عن زلاته ويخصه بوجوه البر والمكرمة والشفقة"[1].

٢-أن يجتهد الداعي إلى الله في دعوة الناس إلى محاسن الأخلاق ومعاليها والبعد عن مساوئها وسفاسفها مراعياً ما يأتي:

أ- بيان الفضائل الخلقية، بإيضاح ثوابها وفوائدها على الفرد والمجتمع.

ب- بيان الرذائل الخلقية، بإيضاح عقابها ومضارها الوخيمة على الفرد والمجتمع.

ج- دعم هذه الإيضاحات بالحجج والأدلة الواردة في القرآن والسنة النبوية والآثار الواردة عن الصحابة وأقوال علماء الأمة.

د- ربط تلك الإيضاحات بما يشاهد ويسمع من تدن في سلوك المجتمعات التي لا تعطي اهتماما للجانب الأخلاقي، وأخذ العبرة والعظة من الأحداث والمصائب والكوارث التي تصيب من سائت آدابه وانحرفت أخلاقه.

فإن مراعاة هذه الأمور أثناء مخاطبة المدعوين تحدث أثراً بالغاً في أنفسهم، لأنها تشتمل على الجانبين: التعليمي ببيان الأخلاق وتقريرها بالأدلة والآثار والعواقب، والواقع المشاهد أو المسموع عنه الذي ظهرت فيه للعيان تلك الآثار، فيتحقق في ذلك الربط بين الخبر والمعاينة، وذلك من أقوى ما يكون تأثيراً في النفس.

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١)، (ص ٤٢٠)

٣- تأكيد الداعي إلى الله على العلاقة الوطيدة بين الإيمان ومكارم الأخلاق؛ إذ إن الأخلاق مرتبطة بأعمال القلوب، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إذا كان الإيمان أصله الإيمان الذي في القلب، وأنه لا بد فيه من شيئين: الأول تصديق القلب وإقراره ومعرفته وهذا هو التوحيد، والآخر عمل القلب، وهو: التوكل على الله وحده ونحو ذلك من حب الله ورسوله، وحب ما يحب الله ورسوله والإخلاص والخشية والتوكل ونحوها داخلة في الإيمان بهذا المعنى، وكانت الأخلاق الكريمة داخلة فيه أيضا، وأما البدن فلا يمكن أن يتخلى عن مراد القلب؛ لأنه إذا كان في القلب معرفة وإرادة سرى ذلك إلى البدن بالضرورة، ولهذا قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ**[١]»[٢].

٤-أن ينبه المدعوين لإدراك حدود الأخلاق قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إن من أشرف العلوم وأنفعها علم الحدود، ولا سيما حدود المشروع، المأمور والمنهي، فأعلم الناس أعلمهم بتلك الحدود، حتى لا يدخل فيها ما ليس منها، ولا يخرج منها ما هو داخل فيها، فأعدل الناس من قام بحدود الأخلاق والأعمال والمشروعات معرفة وفعلاً[٣]، وحدود الأخلاق العامة هي ما يأتي[٤]:

---

(١) أخرجه البخاري، برقم ٥٢. ومسلم، برقم ١٥٥٩.
(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٧/٥٤٦.
(٣) الفوائد، لابن القيم، ص ١٥٨.
(٤) أصول التربية الإسلامية، الخالد الحازمي، ص ١٥٦.

أ- أن لا يدخل في مسمى الفضائل الخلقية ما ليس منها فيحكم لها بحكم الأخلاق الفاضلة، مثل: أن تدخل المداهنة في باب المدارة على أنها من فضائل التعامل الأخلاقي، في حين أن المداهنة كما فسرها العلماء: "بأنها معاشرة الفاسق وإظهار الرضى بما هو فيه من غير إنكار عليه "(١)، وأما المدارة: فهي "خفض الجناح للناس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، وهي من أقوى أسباب الألفة ومندوب إليها "(٢).

ب- أن لا يخرج من مسمى الفضائل الخلقية بعض أفرادها ويسلب عنها حكمها الأصلي ويحكم لها بحكم مضاد، مثل: أن يخرج من الحياء بعض أصنافه كمصافحة المرأة للرجل الأجنبي، ويسلب عنه حكمه الأصلي وهو التحريم وأنه خادش للحياء، ويحكم عليه بالجواز وأنه لا يتعارض مع الحياء، بل ربما حكم عليه بأنه من شِيم الأخلاق.

ج- أن لا يدخل في مسمى رذائل الأخلاق ما ليس منها فيحكم لها يحكم الرذائل الخُلُقية، مثل: أن يدخل في مسمى رذائل الأخلاق المدارة على أنها من الرذائل الخلقية، وأن صاحبها مداهن.

د- أن لا يُخرج من مسمى الرذائل الخُلقية بعض أفرادها، فيَسلب عنها حكمها الأصلي، ويحكم لها بحكم مضاد، مثل: أن يعتبر الاختلاط بين الرجال والنساء ليس من الرذائل الخلقية، فيسلبه حكم عدم الجواز، بحكم مضاد، وهو الجواز، ويعتبره من الرقي الأخلاقي، فمنها سلب الاختلاط من الرذائل الخلقية وأضفي عليه لباس الفضيلة، وتبعا لذلك سلب عنه الحكم الأصلي بحكم مضاد.

---

(١) فتح الباري، لابن حجر، ٥٢٨/ ١٠.

(٢) المرجع السابق.

الفصل الرابع:
مجال المعاملات وكيفية الدعوة إليها

تعريف المعاملات.

المبحث الأول: بيان أحكام البيع.

المبحث الثاني: التحذير من الربا.

المبحث الثالث: بيان أحكام النكاح.

لما كان الإنسان اجتماعي بطبعه، وهو مدني بالطبع[١]، كان لابد في هذا الاجتماع البشرى من معاملات شتى متنوعة الصور، متعددة الأسماء، والإسلام دين شامل لجميع جوانب الحياة، فلم يغفل هذا الجانب المهم من حياة الناس، فأحل لهم كل طيب نافع وحثهم عليه، وحرم عليهم كل خبيث ضار وحذرهم منه.

تعريف المعاملات

والمعاملات في اللغة: جمع معاملة، مصدر من قولك عاملته، وأنا أعامل معاملة. فالعين والميم واللام أصل واحد صحيح، وهو عام في كل فعل يفعل.[٢].

وأما في الاصطلاح فهي أحكام الشريعة العلمية المرتبطة بتصرفات الناس في أعمالهم الدنيوية مما لا غنى عنه.[٣]، ونسبت إلى الشرع لأنها مما شرع الله لعباده من الأحكام المتعلقة بأعمال الناس.

ومظاهر عناية الشريعة الإسلامية بموضوع المعاملات كثيرة جداً ولا يمكن استيعابها في هذا المبحث ولكن سنذكر أهم تلك المظاهر وهي ما يأتي:

---

(١) المقدمة، لابن خلدون، ص ١٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ص ٥٨٧.

(٣) كشاف اصطلاح الفنون، للتهانوني، ٣/ ٧٥٩.

المبحث الأول: بيان أحكام البيع:



إن الله قد شرع لعباده وأباح لهم من المكاسب والمنافع ما تقوم به مصالحهم، وتبنى عليه مجتمعاتهم، وينمو به اقتصادهم ويتوفر به لهم الخير العاجل والآجل، وفي طليعة ما أباح الله من المكاسب: البيع.

أولاً: تعريف البيع:

البيع في اللغة: مصدر باع، يقال: (باع) بمعنى: ملك وبمعنى: اشترى، وكذلك: (شرى) يكون للمعنيين. واشتقاقه من (الباع) لأن كل واحد من المتعاقدين يمد باعه للأخذ والإعطاء، ويقال للبائع والمشتري (بيعان) بتشديد الياء وأباع الشيء): عرضه للبيع.[١].

وأما في الاصطلاح فهو "مبادلة المال بالمال تمليكا وتملكا "[٢].

ثانياً: بيان حكم البيع:

قال الشيخ صالح بن فوزان الفوزان مبينا حكم البيع: "البيع جائز بالكتاب والسنة والإجماع؛ أما الكتاب: فقول الله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ﴾ [البقرة: ٢٧٥] وفي السنة: قول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا»[٣]، وأجمع

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، ص ١٤٧.
(٢) المغني، لابن قدامه، ٣/ ٥٦٠.
(٣) أخرجه البخاري، برقم ٢١١٠.

المسلمون على جواز البيع في الجملة[١] ما لم يشغل عن واجب، فإن شغل عن أداء واجب فإنه لا يجوز إلا أن يؤدي ذلك الواجب قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[الجمعة: ٩ - ١٠].

وكذا إذا ترتب على البيع معصية أو أدى إلى محرم فإنه لا يجوز ولا يصح...؛ فإن الوسائل لها حكم الغايات، وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[المائدة: ٢][٢].

ثالثاً: إيضاح الحكمة من مشروعية البيع:

بين الشيخ صالح بن فوزان الفوزان الحكمة العظيمة من مشروعيه البيع بقوله: "الحكمة تقتضي جواز البيع لأن حاجة الإنسان تتعلق بما في يد صاحبه لا يبذله بغير عوض، ففي شرع البيع وتجويزه طريق وصول كل واحد منهما إلى غرضه ودفع حاجته، ومن الحكمة في ذلك: اتساع أمور المعاش وبقاء العالم؛ لأنه فيه إطفاء نار المنازعات والنهب والسرقة والخيانات والحيل، لأن المحتاج يميل إلى ما في يد غيره، فبغير المعاملة يؤول الأمر إلى القتال والتنازع، وبذلك فناء العالم واختلال نظام المعاش وغير ذلك"[٣].

---

(١) وممن ذكر الإجماع: ابن قدامه في المغني، ٥٦٠/٣.

(٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٠)، (ص ٨٨).

(٣) المرجع السابق.

رابعاً: التحذير من أنواع البيوع المحرمة:

ومن هذه البيوع: بيع العينة[١]، وبيعتان في بيعة، وبيع الإنسان ما ليس عنده، وبيع ما اشتراه قبل قبضة وغيرها.[٢].

وبناء على ما سبق؛ فإن أبرز الدعائم التي تحقق للداعية إلى الله الاستفادة المثلى مما تقدم في دعوته هي ما يأتي:-

١- إدراك الداعي إلى الله أن موضوع (المعاملات) من المداخل المهمة لبيان سماحة الإسلام ومحاسنه يؤكد ذلك قول سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: "ومن محاسن هذه الشريعة أيضا أنها جعلت للمعاملات بين المسلمين نظاما حكيما يتضمن العدل والأنصاف وإقامة الحق فيما بينهم "[٣].

٢- تفقه الداعي إلى الله في أحكام البيع وأنواع البيوع المحرمة ومعرفة صورها.

٣- أن يبين الداعي إلى الله أحكام البيع وأنواع البيوع المحرمة للمدعوين ويحذر التجار خاصة من الطمع والجشع جاء في بحث علمي من إعداد اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: "يقوم العلماء بتبيين أنواع البيوع المحرمة، ويحذرون الناس من التعامل بها؛ لما فيها من غضب الله وسخطه، ولما يترتب

---

(١) بيع العينة هو بيع العين بثمن زائد نسيئة لبيعها المقترض بثمن حاضر أقل ليقضي دينه. انظر: الدر المختار، (٢٧٩/ ٤).

(٢) بحث بعنوان (أنواع البيوع التي يستعملها كثير من الناس إعداد: اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٣٧)، (ص (٢١).

(٣) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٤٥)، (ص ٢٩).

عليها من أضرار اجتماعية ومالية من: توليد الضغائن والأحقاد وتقطيع أواصر المحبة والإخاء، وتكبيل من صاروا فريسة للتحايل في البيوع وسائر المعاملات والتلاعب فيها بكثرة الديون وتراكمها على الضعفاء، وشغل القضاة وسائر ولاة الأمور بالخصومات"(١).

٤- إرشاد الناس لعدم الإسراف والاستغناء بما أحل الله عَزَّوَجَلَّ من الاتجار المباح والكسب الحلال عما حرمه عليهم، جاء في بيان اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء عما ينبغي للدعاة: "يُنْصَح الجمهور بالاقتصاد في النفقات فلا يتوسعوا في وسائل الترف، وينصح من عنده رأس مال يتجر فيه ألا يدخل في مداينات أو معاملات محرمة ليتوسع بها في رأس ماله، وليستغن بما أتاه الله وما أباحه له من طريق الاتجار والكسب الحلال عما حرمه الله عليه شكراً لنعمة الله عليه عسى أن يزيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من فضله "(٢).

08-04-26



(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٣٧)، (ص ١١).

(٢) المرجع السابق.

المبحث الثاني: التحذير من الربا:



فقد حذرت الشريعة الإسلامية من خطورة التعامل بالربا، وبينت أنواعه وأنه أعظم المعاملات المالية جُرماً، وأشدها خسارة، وأكثرها وعيداً في الدنيا والآخرة، ومما يوضح ذلك ما يأتي:

أولاً: تعريف الربا لغة واصطلاحاً:

الربا في اللغة هو الزيادة، يقال: ربا الشيء يربو إذا زاد، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فصلت: ٣٩][١].

وأما في الاصطلاح فهو "عقد على عوض مخصوص غير معلوم التماثل في معيار الشرع حالة العقد أو مع تأخير في البدلين أو أحدهما"[٢].

ثانياً: تحريم الربا وبيان شناعته:

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ محذراً من التعامل بالربا، ومبيناً أنه من الكبائر العظيمة ومن الجرائم المتوعد صاحبها بالنار واللعنة: "وقد دلت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على أن أكل الربا من كبائر الذنوب ومن الجرائم المتوعد عليها بالنار واللعنة، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ:

﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، ص ٤١٩.
(٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٠)، (ص (٩٢).

فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾ [البقرة: ٢٧٥ - ٢٧٦].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨ - ٢٧٩].

ففي هذه الآيات الدلالة الصريحة على غلظ تحريم الربا وأنه من الكبائر الموجبة للنار، كما أن فيها الدلالة على أن الله سبحانه يمحق كسب المرابي ويربي الصدقات (أي: يربيها لأهلها وينميها) حتى يكون القليل كثيراً إذا كان من كسب طيب. وفي الآية الأخيرة التصريح بأن المرابي محارب لله ورسوله، وأن الواجب عليه التوبة إلى الله سبحانه وأخذ رأس ماله من غير زيادة، وقد صح عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **«لَعَنَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ، وَقَالَ: هُمْ سَوَاءٌ»**[1]"[2].

وقال الشيخ عبد الله بن عبد الغني خياط إمام الحرم المكي رَحِمَهُ اللَّهُ بعد أن ساق الأدلة من القرآن على تحريم الربا: "وتردف ذلك بما ورد في السنة النبوية في موضوع الربا، ولن نستعرض كل الأحاديث الواردة في ذلك، وإنما نكتفي منها بما يلي: حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ قَالَ: الشِّرْكُ بِاللهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ**

---

(١) أخرجه مسلم، برقم ١٥٩٨.

(٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٥)، (ص ٢٦٠).

الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ»(١).

وحديث سمرة بن جندب الطويل....، واستمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في سرد رؤيته إلى أن قال: «فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ حَسِبْتُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سَابِحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كَثِيرَةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الْحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ لَهُ فَاهُ فَيُلْقِمُهُ حَجَرًا فَيَنْطَلِقُ يَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ فَأَلْقَمَهُ حَجَرًا، قَالَ: قُلْتُ لَهُمَا: مَا هَذَانِ؟ قَالَ: قَالَا لِي: انْطَلِقْ....قالا:.... وَأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يَسْبَحُ فِي النَّهَرِ وَيُلْقَمُ الْحَجَرَ، فَإِنَّهُ آكِلُ الرِّبَا(٢)»(٣).

ثالثاً: بيان أنواع الربا:

بين الشيخ صالح بن فوزان الفوزان أنواع الربا بقوله: "الربا نوعان: ربا نسيئة، وربا فضل، فالنوع الأول وهذا هو أصل الربا في الجاهلية: أن الرجل يكون له على الرجل المال المؤجل، فإذا حل الأجل قال له: أتقضي أم تربي؟ فإن وفاه وإلا زاد هذا في الأجل وزاد هذا في المال، فيتضاعف المال والأصل واحد. وهذا الربا حرام بإجماع المسلمين(٤) قال الله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾[البقرة: ٢٨٠].

---

(١) أخرجه البخاري، برقم ٢٧٦٦، ومسلم، برقم ٨٩. واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري، برقم ٧٠٤٧.

(٣) بحث علمي بعنوان: (الربا) في ضوء الكتاب والسنة للشيخ عبد الله عبد الغني خياط في مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١١)، (ص ٢٠٢).

(٤) كما ذكر ذلك ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه إعلام الموقعين عن رب العالمين، (١٣٥/ ٢)

الثاني: من نوعي ربا النسيئة: ما كان في بيع كل جنسين اتفقا في علة ربا الفضل مع تأخير قبضهما أو قبض أحدهما، ويسميه بعضهم: ربا اليد[١]، كبيع الذهب بالذهب والفضة بالفضة والبر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح، وكذا بيع جنس بآخر من هذه الأجناس مؤجلاً وما شاركها في العلة يجري مجراها في هذا الحكم. قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الذَّهَبُ بِالذَّهَبِ، وَالْفِضَّةُ بِالْفِضَّةِ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ، وَالْمِلْحُ بِالْمِلْحِ، مِثْلًا بِمِثْلٍ، سَوَاءً بِسَوَاءٍ، يَدًا بِيَدٍ**»[٢].

النوع الثاني من أنواع الربا: ربا الفضل وهو الزيادة، وقد نص الشارع على تحريمه في ستة أعيان هي: الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح، واتفق الناس على تحريم التفاضل فيها مع اتحاد الجنس.[٣][٤].

رابعاً: أهم الدعائم التي تحقق للداعي إلى الله دعوة الناس لتجنب الربا والابتعاد عنه، ما يأتي:

١- استشعار الداعي إلى الله خطورة الربا وآثاره السيئة على الأفراد والمجتمعات، وذلك يتطلب منه بيان حكمه وعواقبه الوخيمة في الدنيا والآخرة.

فمن عواقبه في الدنيا:

---

(١) كما نص على ذلك في مغني المحتاج للمشربيني (٢/٢١) والروض المربع للبهوتي. (٢/١١٧)

(٢) أخرجه البخاري، برقم ٢١٧٤، ومسلم، برقم ١٥٧٤. واللفظ له.

(٣) كما نص على ذلك ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في إعلام الموقعين، (٢/١٣٦).

(٤) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١٠)، (ص ٩٨).

أ- محق الله الربا. كما قال تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ ﴾ [البقرة:٢٧٦].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وهذا من باب المعاملة بنقيض المقصود ".[١].

ب- عدم محبة الله تعالى للمرابي، كما قال تعالى: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢٧٦].

ج- الإيذان بالحرب من الله تعالى للمرابي، قال جل شأنه: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

هذا إضافةً إلى ما يحل للمتعاملين به من الواقع المزري من الاضطرابات الاجتماعية والنفسية والانحلالات الأخلاقية والتصدعات الاقتصادية وغيرها من المضار.

وأما عواقب الربا في الآخرة فمن أشدها قبح حالهم ووحشة قيامهم من قبورهم وسوء ما يحل بهم، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ ﴾ [البقرة: ٢٧٥].

قال الإمام الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "قال جل ثناؤه للذين يربون الربا...، لا يقومون في الآخرة من قبورهم ﴿إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّۚ ﴾ [البقرة: ٢٧٥]؛ يعني بذلك: يتخبطه الشيطان في الدنيا، وهو الذي يتخبطه فيصرعه من المس، يعني: من الجنون"[٢].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ١/ ٧١٣.
(٢) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ٦/ ٧.

٢- التحذير من الصور المعاصرة للربا كشراء الأسهم الربوية، أو إبداع الأموال في البنوك الربوية، وأخذ الزيادة الربوية التي يسمونها فوائد، أو الاقتراض من البنوك ثم رد المبالغ إليها مع الزيادة الربوية.

٣-أن يبين الداعية إلى الله للناس أن الإثم ليس خاصاً فقط بأكل الربا، وإنما يلحق كذلك كل من شارك في إنجاز عملية الربا من أكل وموكل وكاتب وشاهد فعن جابر الله قال: «**لَعَنَ رَسُولُ اللهِ** صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ **آكِلَ الرِّبَا وَمُؤْكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيْهِ، وَقَالَ: هُمْ سَوَاءٌ**»(١).

٤- دلالة الناس للحكم العظيمة من تحريم الربا، قال الشيخ عبد الله بن عبد الغني خياط رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيناً الحكم العظيمة من تحريم الربا: "وأما حكمة تحريم الربا فتشمل الجانب الاقتصادي والأخلاقي والاجتماعي، وتفصيل ذلك....

أ- أن الاعتماد على الربا يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب، وذلك لأن صاحب الدرهم إذا تمكن بواسطة عقد الربا من تحصيل الدرهم الزائد نقداً كان أو نسيئة خف عليه اكتساب وجه المعيشة، فلا يكاد يتحمل مشقة الكسب والصناعات الشاقة والتجارة، وذلك يفضي إلى انقطاع منافع الخلق، ومن المعلوم أن مصالح العالم لا تنتظم إلا بالتجارات والحرف والصناعات والعمارات وهذا هو الجانب الاقتصادي.

ب- أنه يفضي إلى انقطاع المعروف بين الناس من القرض؛ لأن الربا إذا حرم طابت النفوس بقرض الدراهم واسترجاع مثله، ولو حل الربا لكانت حاجة

---

(١) أخرجه مسلم، برقم ١٥٩٨.

المحتاج تحمله على أخذ الدراهم بدرهمين فيفضي ذلك إلى انقطاع المواساة والمعروف والإحسان، وهذا هو الجانب الأخلاقي.

ج- أن الغالب أن المقرض يكون غنياً، والمستقرض يكون فقيراً، فالقول بتجويز عقد الربا تمكين من يأخذ من الفقير الضعيف مالاً زائداً وذلك غير جائز برحمة الرحيم، وهذا هو الجانب الاجتماعي.... مما يقضي إلى تضخم طبقة من المجتمع على حساب طبقة أو طبقات أخرى، مما يخلق الأحقاد والضغائن ويورث نار الصراع بين المجتمع بعضه ببعض، ويؤدي إلى الثورات المتطرفة والمبادئ الهدامة.

كما أثبت التاريخ القريب خطر الربا والمرابين على السياسة والأمن المحلي والدول جميعاً"(١).

٥- أن بين الداعي إلى الله للناس الوسائل الشرعية للقضاء على الربا في المجتمعات الإسلامية، وفي هذا يقول الشيخ عبد الله بن عبد الغني خياط رَحِمَهُ ٱللَّهُ موضحاً عظمة الشريعة الإسلامية في ذلك: "وشرع وسائل من شأنها القضاء على الربا والتجاني عنه والترفع عن مزالقه والتورط في إثمه، ويشمل ذلك ما يأتي:

أ- القرض الحسن، فبدلاً من أن يقرض المسلم ماله بفائدة تقض مضجع المقترض وتزيد من محنته وبلائه؛ رغب الإسلام في القرض الحسن بالوعد الكريم والجزاء الضافي كما قال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥] وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ [الحديد: ١١].

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد(١١)، (ص(٢١١).

ب- إنظار المعسر ريثما يزول إعساره والترغيب في إبراء ذمته من الدين دون مطالبته، كما قال تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

ج-التعاون في مختلف دروبه وبكل وسائله يشمل التعاون الاجتماعي والصناعي والزراعي، ويدخل في إطار ذلك الضمان الاجتماعي وتمويل المزارعين وأصحاب الصناعات بما يشد أزرهم ويضاعف إنتاجهم فيما يعود بالخير للمجموعة الإسلامية، وثمة فتح المدارس وبناء المستشفيات ودور العجزة، وما إليه مما تشمله الآية الكريمة ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢] فيغدو المجتمع في ظلال هذا التعاون الشامل سعيداً بعيداً عن مآسي الربا والانزلاق إلى أوحاله، ولا يغيب عن الأذهان إخراج زكاة الأموال ودفعها إلى مستحقيها كما نصت على ذلك الآية الكريمة: ﴿ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٦٠][1].



(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (١١)، (ص ٢١٧).

المبحث الثالث: بيان أحكام النكاح:



الزواج أساس الأسرة ودعامتها والقاعدة التي يقوم عليها بناء المجتمع، والأسرة هي اللبنة الأولى في بناء الأمة، وسن الشارع الحكيم للزواج سنناً قويمة وتشريعاً كاملاً محكماً، تنشأ فيه رابطة الزوجية على أساس من الظهر والثقة والتقدير المتبادل، وتقوم فيه علاقة الزوجين على أساس من المودة والرحمة والسكينة، فتثمر مصالح عظمي للأسرة والمجتمع بأسره.

أولاً: النكاح لغة واصطلاحاً:

النكاح في اللغة: الضم والجمع يقال: تناكحت الأشجار إذا تمايلت وانضم بعضها إلى بعض.[1].

وأما في الاصطلاح: فهو عقد يتضمن إباحة وطء بلفظ نكاح أو تزويج أو ما دل عليه.[2].

ثانياً: بيان ترغيب الشريعة الإسلامية في الزواج والحث عليه:

ومما يبين ذلك ما قاله سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز موضحاً اهتمام الشريعة بالزواج والحث عليه: "قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢] فأمر بإنكاح الأيامي أمراً مطلقاً ليعم الغني والفقير وسائر أصناف المسلمين، وإذا

(١) القاموس المحيط، للفيروز أبادي، ١/ ١٦٣. والصحاح للجوهري، ١/ ٤١٣.
(٢) مغني المحتاج، للشربيني (٣/١٢٣)، ونيل الأوطار، للشوكاني، (٦/٢٢٧).

كانت الشريعة الإسلامية قد رغبت في الزواج وحثت عليه فإن على المسلمين أن يبادروا إلى امتثال أمر الله وأمر رسوله حيث قال رسول الله ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ؛ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ**»(١).

فعلى الأولياء أن يتقوا الله في مولياتهم؛ فإنهن أمانة في أعناقهم، وإن الله سائلهم عن هذه الأمانة، فعليهم أن يبادروا إلى تزويج بناتهم وأخواتهم وأبنائهم حتى يؤدي كل دوره في هذه الحياة، ويقل الفساد والجرائم "(٢).

٢-بيان أركان النكاح وشروطه:

فأما أركانه، فهي:

أ- أهلية المتعاقدين، وذلك بخلوهما من الموانع.

ب صيغة العقد، وهي الإيجاب والقبول.

والمقصود بالإيجاب اللفظ الصادر من الولي أو من يقوم مقامه.

وأما القبول فهو اللفظ الصادر من الزوج أو من يقوم مقامه كأن يقول: قبلت.

وأما شروط النكاح فهي: الرضا بالزواج، وتعيين الزوجين، والولي، والإشهاد عليه.

---

(١) أخرجه البخاري، برقم ٥٠٦٦. ومسلم، برقم ١٤٠٠.

(٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٣٣)، (ص ١٦).

ثالثاً: بيان حكمة الزواج ومنافعه العظيمة:

للزواج حكم عظيمة وآثار حميدة على الأفراد والمجتمعات، جاء إيضاحها في مواطن عدة من مجلة البحوث الإسلامية، ومن ذلك إفراد بحث علمي فصل حكم الزواج ومنافعه، والتي منها ما يأتي(١):

١ - المحافظة على النسل واستمراره:

يعتبر الزواج ضرورة إنسانية لحفظ النوع، وخلود الأثر، وبقاء الحياة على الأرض واستعمارها، قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، وتحقيق الخلافة عليها، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾[الأنعام: ١٦٥]، والعمارة والاستخلاف لا تتحققان بفرد واحد مهما طال عمره، ومهما أوتي من مكانة وقوة وإنما تتحققان بالكثرة، فكان لا بد من الزواج والتوالد ليكثر النوع، فتعمر الحياة ويتحقق الاستخلاف.

٢ - تلبية الغريزة الجنسية واعتدالها:

تعتبر الغزيرة الجنسية حقيقة في التكوين البشري، بحيث لا يمكن تجاهلها، بل تعتبر من أقوى الغرائز الملحة على الإنسان بحيث يؤدي احتباسها إلى شرود الذهن وخلخلة العاطفة، قال ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ثم رأيت هذا المقصود الأصلي يتبعه شيء آخر، وهو استفراغ الماء الذي يؤدي دوام احتقانه وكثرة اجتماعه وطول احتباسه إلى أمراض صعبة، لأنه يترقى بخاره إلى الدماغ "(٢).

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٣٣)، (ص ٢٨٥-٣١٢).

(٢) صيد الخاطر، لابن الجوزي، ص٦٩.

وقال ابن القيم في بيان حكمة النكاح: "والثاني: إخراج الماء الذي يضر احتباسه واحتقانه بجملة البدن "[١].

٣- تحقيق السكن النفسي:

فقد خلق الله تعالى غريزة الميل العاطفي بين الذكر والأنثى بصورة تلقائية من أعماق النفس، يُقبل من خلالها كل منهما نحو الآخر، فجاء الزواج ليحقق ذلك فتسكن النفس وتهدأ مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾[الروم: ٢١].

٤- صيانة المجتمع من الانحلال الخلقي:

ومن حكم الزواج أنه السبيل الوحيد لصيانة المجتمعات الإنسانية عن الانحلال الخلقي، لأنه يعمل على الإشباع الجنسي والنفسي، وتحصين الفروج من الوقوع في الحرام، والقناعة بالحلال وغض البصر عن المحرمات. قال الإمام الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في حكمة الزواج: ومنها التحفظ من الوقوع في المحظور من شهوة الفروج ونظر العين ".[٢].

٥- إشباع غريزتي الأبوة والأمومة:

فقد فطر الله تعالى الإنسانية على حب الولد والذرية، قال تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[الكهف: ٤٦] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّـٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾[الفرقان: ٧٤].

---

(١) زاد المعاد، لابن القيم، ٤/ ٢٤٩.

(٢) الموافقات للشاطبي، (٣٩٦/ ٢).

والزواج هو وسيلة الإشباع الصادقة لتلك الغريزة الحانية، وهو طريق الإنجاب الصادق في استكمال فراغ الأبوة والأمومة.

رابعاً: أهم الدعائم التي تحقق للداعي إلى الله حسن الدعوة لما تقدم:

١- حث الداعي إلى الله من استطاع الباءة على المبادرة بالزواج، كما قال النبي: «**يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ، مَنِ اسْتَطَاعَ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ؛ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ**»(١).

٢- أن يحذر الداعي إلى الله الآباء من عضل البنات عن الزواج، وإبراز أنه من أنواع الظلم ففي وصية مشفق ناصح قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ لمن يبلغه كتابه من المسلمين: قد بلغني أن كثيراً من الناس قد يؤخرون تزويج مولياتهم من البنات والأخوات وغيرهن لأغراض غير شرعية، كخدمة أهلها في رعي أو غيره، وكطلب الأكثر مالاً أو لترضى بمن لا يناسبها من بني عمها وغيرهم، وكذلك من يؤخر زواجها من أجل أن يأخذ بها زوجة له، وتأخير تزويج المولية لهذه الأسباب ونحوها من الأمور المحرمة، ومن الظلم للموليات من البنات وغيرهن، قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ﴾ [النور: ٣٢].

والأيامي: من جمع أيِّم، يقال ذلك للمرأة التي لا زوج لها وللرجل الذي لا زوجة له..... ووعدهم عليه الغنى فقال: ﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۗ﴾ [النور: ٣٢] وروى الترمذي عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(١) أخرجه البخاري، برقم ٥٠٦٦، ومسلم، برقم ١٤٠٠.

«إِذَا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ» فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ[1]"[2].

٣-حث الداعي إلى الله الراغبين في الزواج على حسن اختيار الطرف الآخر.

فأهم ما يراعي الزوج عند اختيار الزوجة ما يأتي:

أ- أن تكون صالحة، فعن أبي هريرة له عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ[3]"[4].

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: "فالديّنة تعينه على طاعة الله، وتصلح من يتولى على يدها من الأولاد، وتحفظه في غيبته، وتحفظ ماله، وتحفظ بينه، بخلاف غير الديّنة فإنها تضره في المستقبل "[5].

ب- يستحب أن تكون بكراً، فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: «يَا جَابِر، تَزَوَّجْتَ بِكْراً أم ثَيِّباً؟ قال: ثَيِّباً، فقال: «هَلَّا تَزَوَّجْتَ بِكْرًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ ؟"[6].

---

(١) أخرجه الترمذي، برقم ١٠٨٥. واللفظ له. وابن ماجه، برقم ١٩٦٧، وحسنه الألباني في الترغيب، برقم (٣٠٩٠).

(٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٥)، (ص ٢٦٧)، وانظر العدد (٢٣)، (ص ٣٩٥).

(٣) تربت يداك أي لصقت بالتراب، وهو كناية عن الفقر، النهاية في غريب الحديث والأثر) لابن الأثير، ص ١٠٧.

(٤) أخرجه البخاري، برقم ٥٠٩٠. ومسلم، برقم ١٤٦٦.

(٥) الشرح الممتع على زاد المستقنع، لابن عثيمين، (١٢٢/ ٥).

(٦) أخرجه البخاري، برقم ٥٠٧٩. ومسلم، برقم ٧١٥، واللفظ له.

لكن قد يكون هناك بعض الأسباب النكاح الثيب وتقديمها على البكر كما وقع ذلك الجابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فإنه قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قال له مقولته السابقة: «هَلَكَ أبِيْ، وَتَرَكَ تِسْعَ بَنَاتٍ أَوْ سَبْعَ، وَإِنِّي كَرِهْتُ أَنْ آتِيَهُنَّ أَوْ أَجِيئَهُنَّ بِمِثْلِهِنَّ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَجِيءَ بِامْرَأَةٍ تَقُومُ عَلَيْهِنَّ، وَتُصْلِحُهُنَّ. قَالَ: «فَبَارَكَ اللهُ لَكَ»(١).

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: "فإذا اختار الإنسان ثيباً لأغراض أخرى فإنها تكون أفضل "(٢).

ج- أن تكون ولودا ودودا؛ لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَزَوَّجُوْا الوَدُوْدَ الوَلُودَ فَإِنِّيْ مُكاثِرٌ بِكُمُ الأمم»(٣).

وأما أهم ما تراعي الزوجة عند اختيار الزوج فهو ما يأتي:

أ- أن يكون على دين وخلق، لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ، وَفَسَادٌ كَبِيْرٌ»(٤).

ب- يستحب للمرأة اختيار الزوج غير العقيم الحديث: «فَإِنِّيْ مُكاثِرٌ بِكُمُ الأمم»(٥).

---

(١) التخريج السابق.

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع، (١٢٤/ ٥).

(٣) أخرجه أبو داود، برقم ٢٠٥٠. والنسائي، برقم ٣٢٢٩، وصححه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١٧٦/ ٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم (٢٣٨٣).

(٤) أخرجه أبو داود، برقم ٢٠٥٠. والنسائي، برقم ٣٢٢٩، وصححه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١٧٦/ ٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم (٢٣٨٣).

(٥) أخرجه أبو داود، برقم ٢٠٥٠. والنسائي، برقم ٣٢٢٩، وصححه الحاكم في المستدرك على الصحيحين (١٧٦/ ٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، برقم (٢٣٨٣).

ج- أن يكون قادرا على النفقة عليها؛ لأنه مقصود لدوام العشرة، وقد ثبت في حديث فاطمة بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما سألت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن زواجها من معاوية فقال: «وَأَمَّا مُعَاوِيَةُ فَصُعْلُوكٌ لَا مَالَ لَهُ»(١).

٤- دعوة الناس لتخفيف مُؤَن الزواج وتيسير أموره؛ وقد أوصى سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز تخلله من أراد الزواج بتقليل مُؤَن الزواج فقال: "وأوصيكم بتقليل مُؤَن الزواج وعدم المغالاة في المهور، واقتصدوا في تكاليف الزواج، واجتهدوا في اختيار الأزواج الصالحين الأتقياء ذوي الأمانة والعفة" .(٢).

٥-دعوة الأزواج لإدراك الحقوق الزوجية وتطبيقها، فحقوق الزوج على زوجته تشتمل على ما يأتي:

أ- الطاعة، قال تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤] قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: "وليس على المرأة بعد حق الله ورسوله أوجب من حق الزوج "(٣).

ب- أن لا تصوم صوم نافلة إلا بإذنه، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَصُومُ الْمَرْأَةُ وَبَعْلُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ»(٤).

ج- لا تأذن لأحد في بيته إلا بإذنه، لقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَحَقُّكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوْطِئْنَ فَرْشُكُمْ مَنْ تَكْرَهُوْنَ، وَلَا يَأْذَنْ فِيْ بُيُوتِكُمْ لِمَنْ تَكْرَهُوْنَ»(٥).

---

(١) أخرجه مسلم، برقم ١٤٨٠.
(٢) مجلة البحوث الإسلامية، العدد (٣٣)، (ص ١٦).
(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٢٦٠/ ٣٢).
(٤) أخرجه البخاري، برقم ٥١٩٢. ومسلم، كتاب الزكاة، برقم (١٠٢٦). واللفظ له.
(٥) أخرجه مسلم، برقم ١٢١٨.

د- عدم امتناعها عن فراشه، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا لَعَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ**»(١).

أما حقوق الزوجة على زوجها فهي ما يأتي:

أ-إحسان عشرتها، فقال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩] قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: "وذلك توفية حقها من المهر والنفقة، وألا يعبس في وجهها بغير ذنب، وأن لا يكون منطلقاً في القول، لا فظاً ولا غليظاً ولا مظهراً ميلاً إلى غيرها"(٢).

ب- دفع المهر، لقوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾[النساء: ٤].

ج- النفقة والسكنى؛ لقوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧] ولقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ، وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ**»(٣).

د-أمرها بطاعة الله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ﴾[التحريم: ٦].

قال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: "أن يأمرهم بطاعة الله عَزَّ وَجَلَّ، أو ينهاهم عن معصيته، وأن يقوم عليهم بأمر الله تعالى يأمرهم به، ويساعدهم عليه، فإذا رأيت الله معصية روعتهم عنها وزجرتهم عنها "(٤).

---

(١) أخرجه البخاري، برقم ٣٢٣٧. واللفظ له، ومسلم، برقم ١٤٣٦.
(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم، للقرطبي، ٩٧/ ٥.
(٣) أخرجه مسلم، برقم ١٢١٨.
(٤) جامع البيان، للطبري، ١٦٦/ ٢٨.

فهرس الموضوعات

